الفاصلة القرآنية وحقائق اللغة فيها

دراسة في أثر الفاصلة في بيان المعنى في القرآن الكريم(سورة هود نموذجا)

م.م. قصي محمود خلف
كلية القانون - جامعة كركوك

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول الله الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه الطيبين الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين.
أما بعد،
فالقرآن وحدة متكاملة يجمع بين ضروب القول المختلفة ويؤلف بينها في حشد فني عجيب لا يملك العارف بشئ من أسرار التراكيب إلا أن يسجد لصاحب هذا الكلام إجلالاً وخشوعاً،فمن هنا وقع اختياري على كتابة بحثي حول حقائق اللغة في الفاصلة القرآنية،وغرضنا هنا أن نبين هذا الإعجاز في اختيار الفاصلة القرآنية،التي لم تأت لغرض لفظي فحسب،وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض،وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة،إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق، ولا بأس أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتعلق بجمال اللفظ ،وسحر الإيقاع.وهذه الدراسة تهدف بشكل رئيسي ومباشر إلى دراسة الفاصلة وذلك بهدف الكشف عن الدور الذي يمكن أن تؤديه الفاصلة القرآنية في بناء النص القرآني وتماسكه وذلك من خلال دراسة الفاصلة القرآنية في سياقها مع ملاحظة علاقتها مع الجمل السابقة عليها في آيتها ودورها في إبراز المعنى،والغرض الذي دعا إلى اختيارها دون غيرها من الكلمات ضمن سياق الآية. أما الغرض من اختيار الفاصلة القرآنية موضوعا"لهذه الدراسة فهو لمعرفة أثرها في بناء النص القرآني وتماسكه هذا من جانب،وفي بلاغته من جانب آخر.وقد استلزم البحث أن نقسمه إلى فصلين:يتناول الفصل الأول منهما تعريف الفاصلة في اللغة والاصطلاح ودورها في بناء النص القرآني، أما الفصل الثاني والذي هو محور عملي في هذا البحث فقد تناولت فيه أثر الفاصلة في بيان المعنى في سورة((هود)).وختمت بحثي بخاتمة أوجزت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها: فأنني أرجو من الله صادقاً أن أكون وقد وفقت إلى ما قصدت إليه ، وان يقبله في ميزان حسناتي يوم الحشر العظيم.كما أسال المولى القوي المبين، أن يوفقنا لخدمة العلم والدين. واستميح القارئ عذراً على مواطن الضعف والزلل في بحثي هذا، فلا داعي أنني قد جئت بشيء جديد غير مدروس،لكني حاولت قدر الإمكان ومن خلال الاعتماد على المصادر المتوفرة في الأسواق من كتابه،وأنني قد كتبته وأنا مقعد على فراشي كونني قد أصبت بانفجار سيارة مفخخة،فان كان فيه ضعفٌ فلعدم مقدرتي على الذهاب والإياب لمكتبات الجامعة.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
تعريف الفاصلة القرآنية

الفصل :لغةً:لمادة(فصل)في اللغة العربية أصل واحد تلتقي عليه الاستخدامات المختلفة لهذه المادة،وهو :البون مابين الشيئين ونعني به: إبانة احد الشيئين من الأخر :حتى يكون بينهما فرجة:ومنه:قيل المفاصل،الواحد مفصل،ويقال فصلت الشات: قطعت مفاصلها،وفصل القوم عن مكان كذا،وان فصلوا: فارقوه[١].وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين،والآية التي رأسها،والآية التي بعدها،ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تبارك وتعالى((كتاب فصلت آياته)) (سورة فصلت:الآية٣).وهذه الآية لها معنيان:احدهما:تفصل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني فصلناه :بيناه.ويستعمل ذلك في الأقوال والأفعال نحو قوله تعالى((أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين))[٢] وقوله تعالى((هذا يوم الفصل))[٣]أي:اليوم يبين الحق من الباطل،ويفصل بين الناس بالحكم.
والفاصلة:اصطلاحا: حروف متشابهه في المقاطع،يقع بها إفهام المعاني(٤) وعرفها السيوطي أنها كلمة آخر الآية،كقافية الشعر وقرينه السجع(٥).وعرفها القاضي أبو بكر:إنها حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني (٦).وعرفها غيرهم إنها:ما تختم به الآية لفظاً من اسم أو فعل أو حرف ،فهي ألفاظ متشاكلة في المقاطع، توجب إفهام السامع وتدل على المقاطع وتحسين الكلام بالتشاكل والتناظر والتماثل،وهي منزلة قوافي الشعر والسجع،ولفظة الفواصل تحقق المعنى اللغوي بإبانة احد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة(٧).إذن فالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي تختم به الآية،فكما سموا ما يختم به بيت الشعر قافية،سموا ما تختم به الآية فاصلة.والقرآن الكريم يعنى كثيراً بهذه المسألة ويراعيها لمالها من تأثير في النفس التي اعتادت سماع السجع الذي يضرب طويلاً في تاريخ الأدب العربي،واحتل وقفه السمعي وصداه الصوتي موقعاً راسخاً في إسماع العرب فكان لابد من إيجاد البديل المتناسب مع ثوابت الإسلام وهو ما حققته الفواصل القرآنية وزادت على السجع روعة بهاءاً. وقد فرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعد والكلام المنفصل قد يكون

رأس آية،وغير رأس، وكذلك الفواصل تكون رؤوس أي وغيرها،وكل رأس آية فاصلة،وليس كل فاصلة رأس آية (٨) والقرآن الكريم لمجيء الفاصلة ممكنة في موضعها،فيلاحظ سابقها ولاحقها من الحروف فتنسجم الفاصلة مع غيرها من الآيات الأخرى فتكون مستقلة في قرارها،مطمئنة في موضعها،غير نافرة ولا قلقة،متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقا" تاما" بحيث لو طرحت الفاصلة اختل المعنى واضطرب الفهم(٩)وقد رأى الأستاذ عبد الكريم الخطيب الفاصلة بمنزلة مركز الثقل في الآية فقال الفاصلة تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية.وفي هذا التعقيب يرى وجها" جديدا" كتلك المعاني فتزداد وضوحاً وبياناً. إذن يكون من وضيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصاً يبرز به المعنى،والمراد من الآية.فهي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية(١٠)ومن هنا يتبين أن للفاصلة أهمية كبيرة في بيان المعنى الذي تهدف إليه الآية المباركة،ولها اثر في نسق الكلام وتماثل الحروف مما يريح السمع ويجذب انتباهه،ومادامت كذلك وجب أن تختلف الفواصل بحسب الغرض الذي تهدف إليه السورة .والفواصل لم تأت عبثاً أو لتتميم السجع،بل جاءت لتؤدي معنى تتم به الفائدة ويطلبه السياق.وتقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها،وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.والفاصلة وان كانت جزاءً من النغم إلا أنها محكومة بالمعنى الذي يفرضه السياق أو الحالة النفسية التي يريد القرآن الكريم للسامع أن يكون عليها،ومن اجل ذلك قد يضحي بالفاصلة والموسيقى المتناغمة من اجل نغمة أخرى تخالف ما قبلها وما بعدها طلبا" لتصوير فني يفوت مقصده لو جعلت الفاصلة متناغمة مع بقية الفواصل في السورة،من ذلك مثلا" ما ورد في فواصل سورة الأحزاب فالسورة مكونة من ثلاث وسبعين آية جاءت فواصلهن بالألف وقفاً في اثنتين وسبعين آية، ومن غير ألف في آية واحدة مع إمكان إطلاق فتحتها لتكون الفاً فتنسق وفواصل الآيات في السورة،بل أن اللفظة نفسها في الموقع الإعرابي نفسه جاءت في موضع آخر في السورة نفسها فاصلة مطلقة بالألف متسقة مع الفواصل الأخرى (١١).

ولابد من الإشارة هنا أن الفاصلة القرآنية تزيد وتتفوق على القافية الشعرية والأسجاع النثرية بشحنة المعنى المراد، ووفرت النغم الصوتي، والسعة في الحركة الحرة، يقول الدكتور تمام حسان(١٢)(ومع ذلك تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق النص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تظافرهما اثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه من وزن الشعر وقافيته ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية).

الفصل الثاني

أثر الفاصلة في بيان المعنى((سورة هود))

لم تأت الفواصل عبثاً أو لتتميم السجع، بل جاءت لتؤدي معنى تتم به الفائدة،ويطلبه السياق،ولذلك قال العلماء بأن كلمات القرآن الكريم مختارة منتقاة، والفاصلة كلمة مختارة كغيرها من كلمات القرآن متناسقة مع موضوع الآية التي ختمتها،وليست الفاصلة لمراعاة السجع، أو لغرض لفظي،وإنما هي في المرتبة الأولى لإتمام الغرض المعنوي ولو أبدلنا مكان هذه الفاصلة لفظاً آخر لفسد المعنى وها نحن نذكر ما وقع فسورة((هود)) في سبيل مراعاة الفواصل من تقديم أو تأخير،ليس فقط رعية للتناسق الصوتي،بل رعاية للمعنى أيضا"وهذا هو الأعجاز.

(١)((الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))

العلة في إيثار الفاصلة((خبير))وتقديم((حكيم))عليها لأن الظاهر من خلال سياق الآية وترتيبها أن آيات الله أحكمت بالأمر والنهي والحلال والحرام،ثم فصلت بالوعد والوعيد والمعنى والله اعلم:أن آياته أحكمت ثم فصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الأنبياء وشرائع الإسلام. فآياته أحكمت من حكيم ثم فصلت من خبير،يقول ابن عاشور:(١٣)((أذن فالحكيم مقابل لأحكمت،والخبير مقابل لفصلت.وهما وان كانا متعلق العلم ومتعلق القدرة لا تجري إلا على وفق العلم،إلا أنه روعي في المقابلة الفعل الذي هو أثر أحدى الصفتين أشراً تبادراً فيه للناس من الآخر وهذا من بليغ المزاوجة))

(٢)((أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ))

ونلحظ في هذه الآية أنها انتهت بالصفة((بشير))وقد تقدمت على صفة النذارة لأن الخطاب موجه إلى الكفار مناسب تقديم الوعيد والتهديد لأنهم على شفا حفرة من النار فان أعرضوا وقعوا فيها.قال الثعالبي:(١٤)((وقدم النذير لأن التحذير من النار هو الأهم)).

(٣)((وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ)

لما وردت كلمة((يوم)) بصيغة التَّكبير والغرض منها التهويل،وصف ذلك اليوم ب((كبير))وجاء بصيغة التكبير للدلالة على الكبر المعنوي وكبر ما يكون فيه من العذاب،وهو شدة مايقع فيه الكافرون من العذاب،وفي ختم هذه الآية بلفظ ((كبير))علاقة بمعنى ماسبقها لأن تقديم الاستغفار هنا على التوبة ظاهر بين انه من باب تقديم المتحقق على المتعلق، فإذا تحقق من العبد صدق الرجوع والندم على زلات الوقوع مدله ربه أسباب التوفيق وفتح له باب الاستقامة والتوبة وان اعرض عن ذلك أهلكه،يقول الشعراوي(١٥)((يوصف العذاب مرة بأنه كبير،ويوصف مرة بأنه

عظيم،ويوصف مرة بأنه مهين،لأنه عذاب لا ينتهي ويتنوع حسب ما يتناسب المعذب،فضلا"عن أن العذاب الذي يوجد في دنيا الاغيار هو عذاب يجري في ظل المظنة بأنه سينقضي،أما عذاب اليوم الآخر فهو لا ينقضي بالنسبة للمشركين بالله أبداً).

(٤)((إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

ختمت هذه الآية بكلمة((قدير))وفي وقوعها كذلك وتقديم المعمول على العامل للاهتمام القوي ورعاية الفاصلة وليس المراد منه الحصر.وفي إيراد الفاصلة على صيغة((فعيل))بمعنى((فاعل))مبالغة من قادر،ليدل على الصفة المطلعة له،وهي القدرة التامة القائمة بذاته.وانه لمطلق القدرة،واحتواؤه لهذه الصفة متأت من بنية فعيل الدالة على الثبوت والذات.و((قدير))صفة مطلقة لكمال القدرة لذا ترد في القرآن الكريم لمطلق القدرة وختمت غالب الآيات التي جاءت أواخرها على((فعيل))بهذه العبارة((وهو على كل شيء قدير))(١٦)للدلالة على كمال القدرة،وإحاطتها بالخالق.

(٥)((أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))

الصدور مراد بها النفوس لأن العرب يعبرون عن الحواس الباطنة بالصدور أما الصدور فهي الضمائر التي تشتمل عليه الصدور،ومما يدل على أن الصدور مختزن الأسرار المكنونة من القوى النفسانية اقتران((الأسرار))و((الإعلان)) بها في سياق هذه الآية.ولما ذكر سبحانه قوله((يثنون صدورهم))وهو كناية عن إعراضهم،غاير في المعنى فقال((يستغشون ثيابهم)).إذاً العلم بذات الصدور ومكنونها أدق وأخفى مما يعتقدونه من الاستخفاء،لذا تجد صفة((العلم)) تأتي في سياق القرآن الكريم للدلالة على الإحاطة بعلم الأشياء ما دق منها وما ظهر.ولعل في تحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبها من البراعة مالا يصفه الواصفون كأنه قيل:انه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم المسكنة في صدورهم،فكيف يخفى عليه مايسرون ومايعلنون.(١٧)

(٦)((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ))

المبين:اسم فاعل أبان بمعنى اظهر،وهو تخييل لاستعارة الكتاب للتقدير وفي إيثار الفاصلة((كل في كتاب مبين)) للدلالة على استغراق أفراد المتعدد، وتدل على أنه سبحانه كامل بلغ الغاية فيما تصفه به.

(٧)((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ)).

لو تأملنا الفاصلة((مبين))نلحظ أنها جاءت منسجمة مع سياق ما قبلها وفي قوله((أن هذا إلا سحر مبين))أسلوب قصر موصوف هو اسم الإشارة المقصود منه الإخبار بالبعث بعد الموت على صفة هي(سحر)في زعمهم وهو قصد حقيقي عند قائليه.وإنما ساغ هذا الوصف عندهم للأخبار بالبعث لا من حيث أنه خبر لم يصدقوه، بل من حيث أن الكلام والنظم والفصاحة والبلاغة غير المعهودة لديهم.وفي وصف(سحر)بأنه(مبين)إشارة وشهادة بأن القرآن نمط وحده ليس له في كلام البشر مثيل.(١٨)

(٨)((وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))(هود:٨)

لعل في إيثار المضارع ((يستهزؤن)) إيذاناً بان سخريتهم بالحق تكررت مرات،أما إيثار الماضي(حاق)فلتحقق الوقوع.وهذه اللفظة(الفاصلة)مع الماضي الذي قبلها كناية عن إحاطة العذاب بهم من كل جهة.ولعل في إسناد الفعل(حاق) بمعنى الإحاطة إلى غير فاعله تهويلاً وتفظيعاً(١٩).يقول الزمخشري(٢٠)((إنما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون،لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء)).وقال النيسابوري:معنى(يستهزؤن) يعني:يستعجلون ولكنه وضع(يستهزؤن)موضعه لان استعجالهم للعذاب كان على وجه الاستهزاء(٢١).

(٩)((وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ))

لعل في إيراد صيغتي المبالغة(يؤوس- كفور) الدالتين على من دام وكفر منه الفعل تجسيداً يناسب المشركين،ويعطي معنى ما سبق ويدل على أن الإنسان كثير اليأس،وكثير الجحد عند أن يسلبه بعض نعمه فلا يرجو عودها، وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل،وفي تأخير هذا الوصف((كفور))عن الوصف((يؤوس)) مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إفاضة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة(٢٢). وفي التعبير في اللاذاقة استعارة مكنية،لأنه في الفواصل تناول الشيء بالنعم لأدراك الطعام،ثم استعير للذات تشبيها"لها بما يذاق، ثم يزول بسرعة كما تزول الطعام(٢٣).

(١٠)- (١١)((وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

السر البلاغي الذي اقتضى إيقاع هذا الفعل((أذاق)) على ما ليس بمذوق أن هذا التعبير مجاز استعاري فانه قد عبر عن النعمة والخير بعد الجوع ب((أذقناه نعماء)) ففي إسناداً لإذاقة إليه تعالى دون المس إشعار بأن إذاقة النعمة مقصودة بالذات دون مس الضر بل هو مقصود بالغرض.ثم بين حاله حين يتم له ذلك فقال((انه لفرح فخور))وفي إيثار هذه الجملة لان الكلام فيها عن شئ واحد يخص الكافرين،وذلك انه يعتقد أن السبب في حصول تلك النعم من الأمور الاتفاقية فإذا انتقل من مكروه إلى محبوب اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الأخروية فيظن انه قد فاز بغاية الأماني

ونهاية المقاصد(٢٤).ولعل في وصف الأجر بأنه كبير واختيار كفاصلة ما يدل على عظمة الأجر،وهذا أمر طبيعي للمتصفين بصفات الصبر وعمل الصالحات لأنهم أن نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا، والإتيان باسم الإشارة تنبيه على أنهم استحقوا ما يذكر لأجل ما ذكر قبله من الأوصاف.ولذلك أوثر هنا وصف(صبروا)دون(آمنوا)لان المراد مقابلة حالهم بحال الكفار.

(١٢)((فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ))

يمكن القول بأن الإتيان بجملة((والله على كل شئ وكيل))تذييل لقوله((فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)) وهي معطوفة على جملة((إنما أنت نذير))لما اقتضاه القصر من أبطال أن يكون وكيلاً على الجائهم للأيمان.ومما شمله عموم(كل شئ) أن الله وكيل على قلوب المكذبين وهم المقصود(٢٥).والملحظ الذي يلحظ هنا أن هذه الآية تعكس النفسية التي كانت تحيط بأصحاب الدعوة آنذاك، فعندما يشتد الأذى، وينزل الضيق بالرسول،وحيث هو حريص على إيمانهم ويفكر فيهم كثيراً نجد أن الآيات تتنزل للتخفيف النفسي عنه في هذا الجانب وخير مثال الآية أعلاه(٢٦).

(١٣)-(١٤)((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)).

هذه الآية تحرى فيها القرآن هؤلاء.استثارت فيهم كل دوافع المعارضة.وهيجت شعورهم بكل صورة ممكنة.مؤذنة لهم بأن يستعينوا بما يشاؤن من دون الله:شركاؤهم- أو جماعة من الجن أيا"كانوا-أو هم جميعا"وليناصر بعضهم بعضا.يقول الجاحظ((فلم يزل يقرعهم بعجزهم،وينقصهم على نقصهم،حتى يتبين لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم. وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله مع سائر ما جاء به من الآيات وضروب البرهانات))(٢٧).ولأجل هذا خاطبهم الله بقوله((وادعوا من استطعتم من دون الله أن كنتم صادقين)) فهذا الكلام فيه تهيج وإلهاب إمعاناً في التحدي وإقامة الحجة عليهم،وفي نهاية الآية الأحرى جئ بالجملة الاسمية(فهل انتم مسلمون)الدالة على دوام الفعل وثباته.ولم يقل(فهل تسلمون)لأنه حالة عدم الاستجابة تكسب اليقين بصحة الإسلام فتقتضي تمكنه من النفوس وذلك التمكن تدل عليه الجملة الاسمية وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر وهو مستعمل في الحث على الفعل وعدم تأخيره كقوله(فهل انتم منتهون)أي عن شرب الخمر وفعل الميسر.فهل تسلمون بعد تحققكم أن هذا القرآن من عند الله(٢٨).

(١٥)- (١٦)((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

اقتران الحبوط بالصنع،والباطل بالعمل،من حيث كون الحبوط أدق من الباطل،إذ الحبوط يأتي في الآخرة على الأعمال التي يظن أصحابها الإخلاص فيها،كأن يخالطها الرياء وغيره،أما البطلان فيأتي على الأعمال الظاهرة الفساد،من حيث كون الباطل ضد الحق،فكان في نسج الحبوط مع زوال الصنع لدقتهما،في حين نسج البطلان مع العمل لظهور القصد منهما في ابتداء العمل(٢٩).

(١٧)((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ))

لعل في إيثار المضارع(لا يؤمنون)على الماضي:لم يؤمنوا ووقوعه كفاصلة إشارة إلى أن كفر من كفر ليس مقصورا"على زمان دون زمان،ولا برسول دون رسول(٣٠).وفي هذه الآية تثبيت للرسول ونهي له عن الريب والمرية فقد بدأ الله كلامه بقوله انه كان على بينة من ربه ثم يتلوه شاهد منه ثم قبله كتاب موسى وختمه بقوله(انه الحق من ربك) فناسب ذلك أن يقال(فلا تك في مريةمنه)كما أن الكلام هنا على القرآن الكريم وعلى قوم الرسول وتهديد من يكفربه،فناسب الحذف تثبيتا"للرسول ونهيا له عن الريبة فيه.

(١٨)-(١٩)((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ*الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))

لعل المقصود من اختيار الفاصلة(الظالمين)وإعلان هذه الصفة التشهير والخزي مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله،لإثبات كذبهم لأن إثبات ذلك حاصل في صحف أعمالهم ولذلك لم يسند العرض إلى أعمالهم وأسند إلى ذواتهم (أولئك يعرضون على ربهم).ثم بعد أن لعنهم الله ووصفهم بالظالمين فقد أكد كلامه في قوله(هم كافرون) في ختام الآية الأخرى وهو توكيد يفيد تقوي الحكم لأن المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث وصدهم عن سبيل الله وتقريره اشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا(٣١).والسبب في هذا التوكيد هو أن الله ذكر هنا أن من صفات الظالمين أنهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا"وزاد عليها افتراء الكذب على الله فقال:(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)فلما زاد في صفات الضلال أكد فيهم صفة الكفر بزيادة(هم)وزاد في صفة الخسران فقال:(هم كافرون).

(٢٠)-(٢١)((أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)).

في قوله تعالى:(ماكنوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) تشبيه تمثيلي،لأنه تشبيه مركب

بمركب،شبههم في فرط تصامهم عن استماع الحق ونبو أسماعهم عنه بمن لا يستطيع السمع،وذلك لوجوه عديدة(٣٢):

أولهما:يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون،وبما كانوا يستطيعون الأبصار فلا يبصرون عنادا" وإصراراً منهم على الخطل والصدوف عن الحق.

وثانيهما:انه لاشتقالهم استماع آيات الله،وكراهتهم تذكرها وتفهمها،جروا مجرى من لا يستطيع السمع،وان أبصارهم لم تنفعهم، مع إعراضهم عن نذر الآيات،فكأنهم لم يبصروا.

وثالثهما: إن ما هنا ظرفية مصدرية،تجري مجرى سأذكرك ماحييت،والمعنى:أنهم معذبون ماداموا أحياء.وقد ذكر أبو السعود السر في هذا الترتيب فقال(٣٣):((هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان مالايسمع ولايبصر بمعزل عن الولاية)).وعليه فالمنعوتون بما ذكر من القبائح خسروا مابذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة،لأنهم كانوا(يفترون) في كونها تدفع الضرعنهم.

(٢٢)((لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ))

إن الذي دعا إلى ورود الفاصلة(الاخسرون) أن أفعل:من أوزان الفعل الثلاثي المزيد فيه ومن أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل ويأتي من الفعل للمبالغة(٣٤) ومن الصفة المشبهة للاستمرار واللزوم(٣٥)ويكون وصفاً للألوان والعيوب الظاهرة العلامات الفارقة

نحو:أصم،أبكم،أبيض،أعسر،أعور.وفي إيثار لفظة (الاخسرون) من باب الاستعارة لأنه ضر أصابهم من حيث كانوا يرجون المنفعة فهم مثل التجار الذين إصابتهم الخسارة من حيث أرادوا الربح.وإنما كانوا أخسرين لأنهم اجتمعت لهم خسارة الدنيا والآخرة، وقد ذكر الدكتور السامرائي(٣٦)العلة في أنها ختمت بلفظة(الاخسرون) لأنها وردت فيمن صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضوعف لهم العذاب)).

(٢٣)((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)).

اختيار الفاصلة(خالدون)مع ضمير الفصل الذي قبلها في موقع البيان لجملة(أصحاب الجنة)لان الخلود في المكان هو أحق الأحوال باطلاً وصف الصاحب على الحال بذلك المكان إذ الأمكنة لا تقصد إلا لأجل الحلول فيها فتكون الجملة مستأنفة لبيان ماقبلها فمنزلتها منزلة عطف البيان.ولما كان معلوما"أن صيغة اسم الفاعل(٣٧)هي وصف مشتق للدلالة على الذي وقع منه الفعل أو قام به، فانه كان عمل المؤمنين أنهم آمنوا وأطاعوا ربهم فلذلك كان جزاؤهم الخلود في الجنة.

(٢٤)((مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ))

لعل في إيثار الفاصلة(أفلا تذكرون)للدلالة على أنهم اذكر من كلام مما لا يحتاج إلى طول تأمل وتذكر أو تفكير،فأننا إذا سألنا أي فرد من عقلاء خلق الله:هل يستوي رجل أعمى أصم ورجل بصير سميع؛وهل يستوي الأعمى والبصير والأصم والسميع؟ كان جوابه:كلا لا يستويان.فجاء الفعل بصيغة(تذكرون)ولم يقل(تتذكرون)للدلالة على أن هذا لا يحتاج إلى طول تذكر وتأمل،فليس فيها خلاف ويستوي جميع عقلاء الخلق في إقرارها مؤمنهم وكافرهم من دون تفكير ولاطول تذكر، ولذا قال(هل يستويان مثلا")ولم يقرر ذلك، بل ترك الجواب لمن يجيب وهو معلوم(٣٨).

(٢٥)-(٢٦)((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ))

إسناد اللام إلى((يوم))مجاز لوقوعه فيه الآية.ووصفه بالأليم أي المؤلم على الإسناد المجازي لأن المؤلم هو الله سبحانه نزل الظرف منزلة الفاعل نفسه لكثرة وقوع الفعل فيه،فجعل كأنه وقع الفعل منه قال الزمخشري:(٣٩) فإذا وصف به العذاب.قلت :مجاز،لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب،ونظيرهما قولك نهارك صائم.وقال أبو حيان(٤٠)((وهذا على أن يكون اليم صفة مبالغة من ((آلم))وهو من كثرة ألمه، وان كان اليم بمعنى :مؤلم فنسبه لليوم مجاز وللعذاب حقيقة)).وجملة ((واني أخاف.....اليم))تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذوف وتحقيق للإنذار،والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة واقتصر على ذكر كونه عليه الصلاة والسلام نذير مبين))لان دعوته كانت لمجرد الإنذار التبين،أو لكونهم لم يعملوا بما أبشرهم به.

(٢٧)((فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)).

لو دققنا النظر في قصة نوح عليه السلام لوجدنا أن كثيرا" من أوجه الشبه بين المراحل التي مر بها نوح عليه السلام والمراحل التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم:اعتراضهم على بشرية الرسول ثم اعتراضهم على أن إتباعه من الضعفاء وأراذل الناس،ثم طلبهم من النبي أن يطرد الضعفاء والفقراء حتى يفكروا في الدخول في هذا الدين(٤١).ففي هذه الآية أسلوب التعريض وغرضهم منه هنا التعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وان الله لو أراد أن يجعلها في احد لجعلها فيهم، وقد زعم هؤلاء أنهم يحجون نوحا" من وجهين:احدهما أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني أنهم مع ذلك لم يتروا في أتباعه ،ولا أمعنوا الفكرة في صحة ماجاء به وإنما بادروا إلى ذلك ارتجالا"،ومن غير فكر ولا روية (٤٢).

(٢٨)((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)).

لو تأملنا الفاصلة((أنلزمكوموها وأنتم لها كارهون)). لوجدنا أن الغرض الذي دعا إلى تقديم

المجرور((لها))على((كارهون))لرعاية الفواصل مع الاهتمام بأمر الرسالة فهي لب الحوار وصلب القضية.ولعل لفظ ((انلزمكموها)) يكاد يبنى من وروده في هذا السياق بالجو النفسي الذي كان يعيشه سيدنا نوح عليه السلام،فاللفظ مثقل بالضمائر لينقل لنا ما تشعر به النفس من ثقل تصور إلزام القدم بالحجة مع عدم رغبتهم في ذلك(٤٣). كما أن الفاصلة في موضع بيان لسياق الكلام الذي قبلها والذي يتضمن تعريفا"بهم، ومبالغة في وصفهم بالعمى.أما التعريض لأنهم يعلمون أن البينة أو الرحمة لا تعمى وإنما الذي أعماه جهنم لأنهم لم يفقهوا البينة أو الرحمة وقد فقهها آخرون. أما المبالغة:فان وصفهم بالعمى قد فاق حد التصور حتى عم المكان الذي هم فيه وحتى أصاب ما من شأنه إلا يعمى بالعمى لزيادته على كل حد معهود.(٤٤)

(٢٩)((وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ))

إيثار صيغة الفعل((تجهلون)) للدلالة على التجدد والاستمرار،أو تتسافهون على المؤمنين بنسبتهم إلى الخساسة وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم،وجوز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير وفعل مايشق عليه.(٤٥)وقد حذف مفعول((تجهلون)) لعلم به ولرعاية الفاصلة،وزيادة قوله ((قوما))على((تجهلون))للدلالة على أن جهلهم صفة لازمة لهم كأنها من مقومات قوميتهم.

(٣٠)((وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ))

تكلمنا في هذه الآية(٢٤)عما تعينه-تذكرون-وصلة هذه الفاصلة بما قبلها، فلا داعي لإعادة ماذكرناه.

(٣١)((وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ)).

ألتعبير بـ (إني إذاً لمن الظالمين) أبلغ في إثبات الظلم من:أني ظالم،وتأكيد هذا الكلام بثلاث مؤكدات:أن ولام الابتداء وحرف الجزاء،تحقيقا"لظلم الذين رموا المؤمنين بالرذالة وسلبوا الفضل عنهم.وفيه دلالة على انحطاط مرتبتهم ونقص حقوقهم،وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم.

(٣٢)((قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)).

الحوار في هذه الآية يجسد الفرق بين أسلوب الرسل في الدعوة وبين أسلوب الكفار في الرد، وهذا هو الظاهر في رد الكفار وهو على درجة من الرذالة يتمثل ذلك بطلب قوم نوح العذاب واستعجالهم بعد ماحجهم وأبرز لهم ما ألقمهم به الحجر فضاقت عليهم الحيل فقالوا(فأتنا بما تعدنا).وقيمة هذا اللون من الوجهة النفسية تظهر كون المسلم في هذا الأسلوب يقود المحاورين معه إلى موقع المسؤلية،وهذا جانب نفسي مهم يشعر الخصم بقوة موقف المسلم،كما يشعر بضعف موقفهم أمام موقف المسلم.

(٣٣)((قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)).

إيثار الجملة الاسمية (وما أنتم بمعجزين) للدلالة على الاستمرار،والمراد استمرار النفي وتأكيده لا نفي الاستمرار والتأكيد،وتدل اللفظة بأن قومه ليس بناجين من العذاب،وانه واقع لا محالة .وفي الإتيان بالاسم الجليل(إنما يأتيكم به الله)تأكيد لذلك التهويل،وهو داخل تحت قدره الله الذي كفرتم به وعصيتم أمره.

(٣٤)((وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))

التقديم في (واليه ترجعون)للاهتمام ولرعاية الفاصلة وليس للقصر،لأنهم يؤمنون بالبعث أصلا"بله أن يزعموا أنهم يحضرون إلى الله وإلى غيره.

(٣٥)((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)).

في لفظة(تجرمون)وما قبلها إثبات إجرام مستمر لهم وقد أرسل إرسال المسلمات.وفيه توجيه بديع وهو تبرئة نفسه من أن يفتري القرآن فان افتراء القرآن دعوى باطلة ادعوها عليه فهي إجرام منهم عليه.وقد ذكر صاحب كتاب التفسير البلاغي(٤٦)انه قد أوثر(تجرمون)على(تقولون) للإعلام بأن قولهم ليس مجرد قول،بل هو(الإجرام)في أبشع صورة وإيثار المضارع (تجرمون)على (أجرمكم) إشارة إلى تكرارهم هذا القول،واستمرار هذا التكرار.

(٣٦)((وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))

السر في اختيار الفاصلة(يفعلون)للتعبير عما كان يشاهد به وبالمؤمنين به من قومهم، ولأن الداعي إلى أمر إنما يبتئس ويغتم من مخالفة المدعوين وتمردهم مادام يرجو منهم الإيمان والاستجابة لدعوته، وعلى هذا ففي قوله(فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)تسليه من الله لنوح وتطيب لنفسه الشريفة وبيان لقوله(وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)الذي فيه إقناط له عليه السلام من إيمانهم يتمثل ذلك باستعمال(لن)الدالة على التأبيد،إذ جاءت لتأبيد النفي في المستقبل،قال الزمخشري(٤٧):(لن يؤمن إقناط من إيمانهم وانه كالمحال الذي لاتعلق به للتوقع إلا من قد وجد منه ماكان يتوقع من إيمانه).

(٣٧)((وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)).

مجئ الخبر إنكارياً بأن في قوله (أنهم مغرقون)تأكيداً للكلام،وتنزيلاً للسامع منزلة المتردد؛لان للنفس اليقظى مظنة التردد في حكم الخبر،ومؤونة الطلب له،فقال أولاً :ولا تخاطبني في الذين ظلموا،أي: لاتدعني يانوح في استدفاع العذاب عنهم، ثم قال:أنهم مغرقون:لان الكلام مظنة أن يتردد نوح بأنه هل يصيبهم بأس،بل بأنهم هل هم مغرقون بملاحظة ما تقدم من قوله(واصنع الفلك)فأورد الخبر مؤكدا"فقال:أنهم محكوم عليهم بالإغراق.(٤٨).

(٣٨)((وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ))

يقال:سخرت منه واستسخرته للهزء منه،وقيل:رجل سخره-بالضم فالفتح-لمن سخر. وسخره بالضم فالسكون- لمن يسخر منه والسخرية- بالضم وبالكسر لفعل الساخر،وفيها معنى إظهار خلاف الإبطال على وجه يفهم منه استضعاف العقل وفي قوله سبحانه((فانا نسخر منكم كما تسخرون)) أسلوب المشاكلة فقوله تعالى : ((فانا نسخر منكم)) سمي الجزاء كذلك اعتداء وسخرية ليكون في نفس المعتدى فيكف عن الاعتداء،وفي نفس الساخر ليقلع عما هو فيه(٤٩)وفي إيثار الفاصلة (تسخرون)لمجرد التحقق والوقوع أو التجدد والتكرر والمعنى إنا نسخر منكم سخرية متحققة واقعة كما تسخرون منا كذلك،أو متجددة متكررة كما تسخرون منا كذلك.

(٣٩)((فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ))

قول الحق سبحنه(مقيم) يعني أن العذاب الذي سيحل بهم عذاب دائم لا يفارق ولذلك جاء منكرا".والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد،وتحققه بالمؤجل وإيراد الأول بالإتيان في غاية الجزالة(٥٠).وقد جاء في تفسير الآية عند القرطبي ما يفيد أن هنا نوعين من العذاب(٥١): الأول(عذاب يخزيه)وهو في الدنيا.والثاني(عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة.

(٤٠)((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ)).

نلحظ أن التعبير القرآني غاية في الجزالة فقد قال الباري عز وجل(إلا قليل) دون أن يقال(إلا قليل منهم) بلوغا" في استقلالهم أن من آمن كان قليلا" في نفسه لا بالقياس إلى قوم نوح فأنهم كانوا في نهاية القلة.

(٤١)((وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)).

لَعل المدح بأسماء الله الحسنى المقترنة فيها بلاغة المدح في بنيه الأسماء الحسنى،ففي إيثار الفاصلة(غفور رحيم)للمبالغة في الوصف والمدح(٥٢) وهذا التقديم أولى بالطبع لان المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تطلب قبل الغنيمة.فالمغفرة في اللغة لها دلالتها على الستر قال ابن فارس(٥٣)((الغين والفاء والراء عظم بابه الستر والغفران والغفر بمعنى))فسياق الآية يتحدث عن رحمة الله تعالى وغفرانه وعفوه،فلذلك ختمت الآية في المدح بالاقتران الثنائي(غفور رحيم) في بلاغة الإيجاز لما سبق من الحكم بقدرة الله وبأمره في(إجراؤها) و(وإرساؤها)والمعنى:اركبوها بأذنه فهو رحيم بعباده ومن رحمته أنحاء هذه الطائفة تفضلا" منه في إبقاء هذا الجنس وعدم استئصاله بالغرق.

(٤٢)((وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)).

قوله سبحانه (ولاتكن مع الكافرين)عندما تأتي (لا) لطلب الترك أو لمجرد الطلب، فإن الفعل المضارع بعدها ينجزم ويتخلص للاستقبال قال السيوطي(٥٤):(أن -لا-بنوعيها(الطلب والنهي) تختص بالمضارع وتقتضي جزمه واستقباله سواء كان نهيا" أم دعاء.فهذه الآية بيان لقوله (يا بني اركب معنا) وفي نداء ابنه بصيغة(التصغير) دلالة على الإشفاق(٥٥) حتى لا يشاركهم في البلاء كما شاركهم بالصحبة وعدم ركوب السفينة فلذلك لم يقل نوح عليه السلام: (ولاتكن من الكافرين)لأنه لم يكن يعلم نفاقه وانه غير مؤمن إلا باللفظ ولذلك دعاه للركوب لان الأمر عظيم فالأمواج في الضخامة والامتداد الشامخ كالجبال، وفي هذا التشبيه ضرورة بيانه لان المقام يقتضي إبراز نعمة الله وكيف نجي المؤمنين وسط تلاطم الأمواج.

(٤٣)((قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)).

التعليل في اختيار الفاصلة(فكان من المغرقين) دلالة على غرق سائر الكفرة على ابلغ وجه فكأن ذلك أمر مقرر الوقوع غير مفتقر إلى البيان وفي إيراد(كان) دون(صار)مبالغة في كونه منهم(٥٦).ولو تأملنا قوله(قال سآوي)(٥٧) لرأينا كيف شارك المد في قوله(سآوي)في التعبير عما في نفس(ابن نوح) إذ المد هنا يلقي بظلاله على مدى البعد المكاني وعلو الجبل الذي ينشده المتكلم ليفر وينمو من الطوفان وهو تعبير عما في النفس.

(٤٤)((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)).

لقد جمعت هذه الآية الكريمة فنون الألوان البديعة(٥٨):وهو المناسبة اللفظية بين(اقلعي)و(ابلعي).والمطابقة بين(السماء)و(الأرض).والاستعارة في(اقلعي)و(ابلعي).والمجاز المرسل في(يا سماء)والحقيقة: يا مطر السماء والعلاقة:المجاورة. والإشارة في قوله (وغيض الماء)لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء فدل هذا التركيب القليل(وغيض الماء)على أن كل ذلك قد حدث.والردف في (واستوت على الجودي).والتمثيل في(وقضي الأمر) والتعليل لان (غيض الماء)علة الاستواء والانفصال.ثم قال(٥٩)(وقيل بعد للقوم الظالمين)فأنه سبحانه لما اخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين، ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقا" للعذاب احتراسا" من ضعيف، يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب:فلما دعا على الهالكين علم أن كل من هلك كان مستحقا" للهلاك:لأنه قد ثبت بالبرهان انه عادل، فلا يدعوا الأعلى من يستحق

الدعاء.بعد الدعاء عليهم بالظلم، فان لم يكونوا ظالمين،فقد دخل خبره الخلف، وخبره منزه عن ذلك.ويلحظ في هذه الآية استعمال الأفعال الماضية المبنية للمجهول لغرض الدلالة على قدرة الله وعظمته النافذتين في الطبيعة وعناصرها.قال الزمخشري(٦٠).(ومجئ أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قادر وتكوين مكون ماهر،وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله)

(٤٥)((وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)).

ورد المدح بالفاصلة (أحكم الحاكمين) في بلاغة العدول على لسان نوح عليه السلام في المناجاة(وأنت احكم الحاكمين) ولم يقل(ارحم الراحمين) قال الزمخشري:(أي اعلم الحكام وأعدلهم لأنه لأفضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، وفيه أدب الخطاب والدعاء)(٦١):وقد علق الزركشي على الفاصلة(احكم الحاكمين)قائلا"(٦٢):(أفعل إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بعضه، كقولك زيد أشجع الأسود وأجود السحب، فيصير المعنى زيد أشجع من الأسود، وأجود من السحب وعليه فمعنى(احكم الحاكمين)أي حكم من كل من تسمى بحاكم).

(٤٦)((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)).

في إيراده الفاصلة (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)هو كلام الله سبحانه وتعالى بعد م اسأل نوح ربه بعد ما غرق ابنه قائلا"(رب إن ابني من أهلي وان وعدك الحق)فقال له ربه(قال يا نوح انه ليس من أهلك...)ولذلك كان التحذير من السؤال شديد،وقد عقب على سؤال نوح بقوله(إني أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد(٦٣)منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعدان أعلمه الله باطن أمره،وانه أن وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين.والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب،وقد أشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له، فخاف من ذلك الهلال،فلجأ إلى ربه،وخشع له،ودعاه،وسأله المغفرة والرحمة:لان حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٤٧)((قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)).

لعل اختيار الفاصلة (الخاسرين) يتبين من خلال قوله(وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) فهذا كلام صورته صورة التوبة وحقيقته الشكر على ما أنعم الله عليه من التعليم والتأديب.أما صورة توبته فان في ذلك رجوعا"إلى الله تعالى ولازمها طلب مغفرة الله ورحمته، وأما حقيقة الشكر فان العناية الإلهية التي حالت بينه وبين السؤال الذي كان يوجب دخوله في زمرة الجاهلين.

(٤٨)((قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)).

لعل اختيار البيان القرآني للفاصلة(اليم)يتبين من خلال السياق فالتمتع بهجة للنفس وللباصرة والبصيرة، تناط بها أفراح وملذات شتى، لذلك وصف العذاب بعكس اللذة وهو الألم دون غيره من الأوصاف كالعظمة والكبر. والملحظ النفسي في هذه الآية يتمثل في(٦٤):إن الميم حرف ثقيل مضغوط،يشد عضلات الفم كلها حتى يؤدى على هيئة صوت فكيف به إذا كرر؟وليس من هذا النغم المجلجل المتتابع من هذه الميمات الأداء لما يقتضيه المقام من دواعي القوة التي تحيط بالموقف.فنوح عليه السلام قد طوفت به وبمن معه السفينة في مجاهل هذا الطوفان المروع العاني الذي أنى على كل شئ حتى أذن الله لهذه الغيمة أن تنجلي وتصل السفينة إلى شاطئ الأمان والسلام،هذا الموقف الصعب والأهوال المتعددة كانت تشابه في شدتها تتابع هذه الميمات وتظاهرها في مكان واحد فما كانت هذه الميمات إلا مراعاة لما يقتضيه الحال من دواعي القوة التي تحيط بهذا الموقف.كما أن في المقطع الذي سبقه ملحظا"نفسيا" يبرزه الإدغام في قوله(يا بني اركب معنا) إدغام الياء مع الميم مع الغنة المشددة بمقدار حركتين وما يناسب ذلك من أطباق الشفتين ليشير إلى حالة نفسية:نداء الحنان والعطف من الأب لأبنه نداء الضم إلى أحضان الإيمان.

(٤٩)((تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)).

لعل السر في إبراز كلمة المتقين للدلالة على أن سنة الله في رسله وأقوامهم أن تكون العاقبة والفوز للمتقين، لأن في جملة(أن العاقبة للمتقين)علة للصبر المأمور به ، أي أصبر لان داعي الصبر قائم وهو العاقبة الحسنة.واللام في(للمتقين) للاختصاص والملك، فيقضي ملك المتقين لجنس العاقبة الحسنة فهي ثابتة لهم لا تفوتهم وهي منتفية عن إضرارهم(٦٥).

(٥٠)((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ)).

لقد اختار البيان القرآني الفاصلة(إن انتم إلا مفترون) للدلالة على أنهم كانوا قد اتخذوا آلهة يعبدونها افتراء على الله،والكلام في مقام الحصر لان قوله(اعبدوا الله)هو أيضاً في مقام الحصر أي أعبدوه ولا تعبدوا غيره من آلهة اتخذتموها أربابا"من دون الله تعبدونها لتكون لكم شفاء عند الله من غير أن تعبدوه تعالى.وجملة(إن انتم إلا مفترون) توبيخ وإنكار، فهي بيان لجملة(مالكم من اله غيره).

(٥١)((يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ)).

أوثر العقل هنا على الذكر والتفكير للإعلام بأن ما غاب عنهم من البدهيات التي يدركها العقلاء ببديهة النظر، وفي هذا تعريض بهم ووصف لهم بالغفلة(٦٦)،والتحريض على التعقل.يتبين ذلك من

خلال سياق الآية ففي النداء بـ (يا قوم)مضاف للمتكلم ترقيق وتلين في الخطاب،واستمالة لهم لعلهم يلتقون إليه ويسمعونه فيعقلون.

(٥٢)((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)).

قولهَ(ولا تتولوا مجرمين) بيان لقوله (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) وقد عقب الدكتور فاضل السامرائي على قوله(ولا تتولوا مجرمين)بعد مقارنتها بما ورد في سورة الأنفال ايه٢٠((ولا تتولوا عنه وانتم تسمعون)) فقال(٦٧) ورد في آية الأنفال ((ولا تتولوا)) بحذف إحدى التائين، وقال في آية هو (ولا تتولوا) من دون حذف، ذلك أن آية الأنفال خطاب المؤمنين((يا أيها الذين آمنوا)) وان آية هود هو خطاب للكافرين وهم قوم هود.ومن المعلوم أن تولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين ذلك لان المؤمنين مطيعون لله بخلاف الكفرة،فلما كان تولي المؤمنين اقل حذف من الحدث للدلالة على قلة توليهم بخلاف تولي الكافرين فانه عام شامل فهو يشمل تولي المؤمنين وزيادة فزاد في الفعل للدلالة على زيادة توليهم.ومن ناحية أخرى فأنه نهى المؤمنين عن التولي مهما كان قليلا"،فقال:(ولا تولوا).

(٥٣)((قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)).

لعل في إيراد الفاصلة (وما نحن لك بمؤمنين) إشارة إلى عدم تصديقهم به، لأن(آمن) تأتي بمعاني متعددة(٦٨).فأن عديتها بنفسها مثل قول الحق سبحانه:(وآمنهم من خوف)وإن عديتها بحرف((الباء)) مثل قول الحق سبحانه في هذا المقام فالمعنى يتعلق باعتقاد الإلوهية. وإن عديتها عديتها بحرف(اللام)مثل قول الحق سبحانه (فما آمن لموسى الاذرية من قومه)سورة يونس٨٣ فتكون بمعنى التصديق.أذن فورود الفاصلة هنا للدلالة على عدم تصديقهم فيما جاء به هود.ولعل في تقديم المسند إليه في قوله(ومانح نلك بمؤمنين)المفيد للتقوى دلالة على أنهم لا يرجى منهم ذلك بوجه من الوجوه وفي ذلك من الدلالة على الإقناط مافيه ،قال ابن عاشور(٦٩):قوله تعالى(وما نحن لك بمؤمنين) من شأنه أن يشير للسامع ومن معه في أنفسهم أن يقولوا أن لم تؤمنوا بما جاء به انه من عند الله فماذا تعدون دعوته فيكم،أي تقول انك ممسوس من بعض آلهتنا وجعلوا ذلك من فعل بعض الآلهة تهديد للناس بأنه لو تصدى له جميع الآلهة لدكوه دكاً).

(٥٤)-(٥٥)((إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)).

لقد اختار البيان القرآني الفاصلةَ(فكيدوني جميعا" ثم لاتنظرون)ففي قوله(فكيدوني) قد ذكر الياء فيها لأن المقام هنا مقام تحدٍ ومواجهة، فكان في الحرف إشارة إلى أن هوداً عليه السلام أظهر نفسه زيادة في التحدي،إذ المتحدي لابد أن يظهر نفسه، كما أن الملاحظ أن سياق الكلام قبلها قد كثر فيها المؤكدات((أن))و((الباء))و((إني))و((أني)).فقومه لم يكتفوا برد دعوته وعد التصديق بها ولذلك جئ بلفظ ((جميعا")) زيادة في التحدي فجاءت الياء زيادة في التحدي(٧٠). وأمر آخر أشار إليه الدكتور فاضل السامرائي في مجال المقارنة بين قوله (فكيدوني جميعا"ثم لا تنظرون)وقوله سبحانه في سورة الأعراف آيه١٩٥((ثم كيدون فلا تنظرون))وهو متعلق بمبحث الفصل والوصل لكن يشار إليه هنا لكونه ضروريا"في فهم المغزى من الحذف:وهو أن الفاء في سورة الأعراف دخلت على نفي الأنظار بخلاف التي في هود(ثم لا تنظرون)والفاء تفيد التعقيب وهي ناسبت الجو النفسي السريع والتي في هود فسياقها الإمهال في إيقاع (٧١) العقوبات.وفي قوله (إني بريئ مما تشركون)بيان لقوله(أشهد الله واشهدوا)حيث لم يقل(واشهدكم) ليكون موازنا"له وبمعناه؛لان إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلاله على قلة المبالاة بهم،ولذلك عدل به عن لفظ الأول للاختلاف ما بينهما هذا من جهة ومن جهة ثانية فأن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الإشهاد منه فلما كان إشهاده لله واقعا"ومحققا"عبر عنه بصيغة الخبر لأنه صحيح وثابت،وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وهو مراده في هذا المقام،ومن جهة ثالثة إنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتميز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأشرف وأقر للمخاطب من صيغة الأمر(٧٢).

(٥٦)((إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))

جملة (على صراط مستقيم) تعليل لجملة (إني توكلت...)أي توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه،وهو مندرج في البرهان وهو تمثيل واستعارة لأنه تعالى مطلع على أمور العباد مجاز لهم بالثواب والعقاب كاف لمن اعتصم به كمن وقف على الجادة فحفظها ودفع ضرر السابلة بها(٧٣).ولو تأملنا ألفاظ هذه الآية وما جمعته من عموم القدرة، وكمال الملك،ومن تمام الحكمة والعدل والإحسان، فكونه تعالى على صراط مستقيم:ينفي ظلمة للعباد وتكليفه إياهم مالا يطيقون. وينفي العيب عن أفعاله وشرعه ويثبت لها غاية الحكمة والسداد(٧٤).وقد يسأل سائل لم يقل(أن ربي وربكم على صراط مستقيم)على وزن قوله (على الله ربي وربكم) والعلة في ذلك انه في مقام الدعاء لنفسه عن قومه يتوقع أن يحفظه الله من شرهم وهو يأخذه تعالى ربا بخلاف القوم فكان الأنسب أن يعده رباً لنفسه ويستمسك برابطة العبودية التي بينه وبين ربه حتى ينجح.

(٥٧)((فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)).

الحفيظ في أسماء الله تعالى هو لا يعزب عن حفظه الأشياء مثقال ذرة في السموات والأرض

بقدرته(٧٥).واسم الحفيظ يتضمن معنى العليم والشهيد، وتأويل ذلك أن الحافظ للشئ علم به أكثر الأحوال، إذ من خفيت عليه أحواله لا يتأنى له حفظه. وفي التعبير بالفاصلة(أن ربي على كل شئ حفيظ)كناية كن المجازاة،وفي نسبة الحفيظ إلى الله من حيث كونه لاتخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم،ويحفظ كل شئ على العبد حتى يجازيه به(٧٦).كما أن في اختيار الفاصلة(حفيظ)دلالة على القدرة والقهر لان(حفيظ)مبالغة الحافظ،وهو الذي يضع المحفوظ من حيث لا يناله احد غير حافظه(٧٧).

(٥٨)((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)).

في اختيار الفاصلة (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لأجل بيان ما نجاهم عنه وهي الريح.والمراد بهذا الانجاء من عذاب الآخرة وبالأول الإنحاء من عذاب الدنيا،وحاصلة أن الأول أخبار بأن الإيمان الذي وفقوا له صار سبب انجائهم، والثاني بأن ذلك الانحاء كان من عذاب أي عذاب دلالة على كمال الامتنان وتحريضا" على الإيمان(٧٨).وقد ذكر(٧٩)الدكتور فاضل السامرائي في باب المقارنة بين هذه الآية وقوله(ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا"والذين آمنوا معه برحمة منا)هود(٩٤) ، فجاء في هاتين القصتين بالواو في حين قال:(فلما جاء أمرنا نجينا صالحا"والذين آمنوا برحمة منا)هود٦٦،وقال في قصة لوط:(فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها)هود٨٢،بالفاء وسبب ذلك أن (العذاب في قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد فأن في قصة هود(فأن تولوا فقد ابلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما" غيركم)هود٥٧، وفي قصة شعيب(سوف تعلمون)هود٩٣ والتخويف قارنة التسويف فجاء بالواو المهملة وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقيب الوعيد فأن في قصة صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام هود(٦٥). وفي قصة لوط (أليس الصبح بقريب) هود(٨١). فجاء بالفاء للتعجيل والتعقيب.

(٥٩)((وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)) .

لقد اختار البيان القرآني لفظة (جبار)ووصفه بعنيد للإشارة إلى هذه حالهم وهو الجحد بالآيات وعصيان الرسل وطاعة الجبابرة ويؤل ذلك إلى الاتصاف أي أن كلا" منهم اتصف بصفة كل جبار عنيد. يتبين ذلك من خلال سياق الآية ففي الإشارة إليهم بصيغة البعيد وتأنيثها لتحقيرهم أو لتنزيلهم منزلة البعيد من عدمهم وفي قوله سبحان جحدوا بآيات ربهم استئناف لحكاية بعض قبائحهم.

(٦٠))((وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ)).

ورد التعليل بجملة استئناف مبدوءة بـ (إلا)في قوله تعالى ((واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة إلا أن عادا" كفروا)) وجملة (إلا أن عادا" كفروا ربهم) استئناف بياني لسبب استحقاقهم للعنتين(٨٠).وفي ورود الفاصلة(هود)في ختام الآية بيان ل(عاد)أو وصف (عاد) باعتبار ما في لفظ (قوم) من معنى الوصفية.وفائدة ذكره الإيماء إلى أن له أثراً في الذم بإعراضهم عن طاعة رسولهم، وفي تكرار (إلا) المنبهة لما بعدها تعظيما" لأمره، وكرر اسمهم ووصفهم بقوم هود ليفيد السامع بالتكرير تقرير استحقاقهم للعنة والإبعاد وسببه، وإنهم ليس لهم شبهه عذر لرد الدعوة المعقبة للحرمان مما كانوا فيه من خير ونعمة والانتهاء إلى ضده من شقاء ونقمة(٨١).

(٦١)((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ))

السر في ورود لفظ (مجيب) كفاصلة وتقديم لفظ (قريب) عليها هو أن (قريب) ناظر لتوبوا- و(مجيب) ناظر-لاستغفروا- فكان المراد :ارجعوا إلى الله تعالى فأنه سبحانه قريب منكم اقرب من حبل الوريد واسألوه المغفرة فانه جلا وعلا مجيب للسائلين. والله اعلم.

((٦٢))((قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ))

يوقفنا سياق الفاصلة((وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب))على اقتران الشك بالريب في التركيب النحوي، من حيث وقوع الريب صفة له فوصف الشك بالريب لتخصيصه بالشك الذي تحويه التهمة،مع قلق واضطراب، إذ مريب مأخوذ من أرابني الأمر إذا صار ذا ريبة،والريب قلق النفس، وان لا تطمئن إلى شيء(٨٢). جاء في التفسير البلاغي(٨٣):(إن الفاصلة أعلاه فيها توكيد الخبر لمواجهة صالح لهم بتحقيق التوحيد عقيدة وعبادة.واستعارة بالكناية في (لفي شك)حيث شبه الشك بـ (الظرف)المحيط بالمظروف وحذف المشبه به ودل عليه بحرف الجر(في) والمراد تفخيم شأن الشك وفي هذا إيحاء بأنهم لم يستجيبوا لصالح أبداً وكنايةً في (مما تدعونا) إذا المراد به الحق الذي جاءهم به رسولهم وفي(مريب)مجاز عقلي بإسناد (الإرابة) لضمير الشك وهي للشاك نفسه .وفي هذا زيادة تفخيم للشك).

(٦٣) ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)).

التخسير، مصدر الفعل خسر إذا جعله خاسرا"ومعنى التفعيل النسبة والمعنى غير أن أخسركم ، وأنكسكم إلى التخسير،وقيل: هو على حذف مضاف أي:غير مضارة تخسيركم (٨٤).وفيه أسلوب قصر، حيث قصرت فيه الزيادة على التخسير،وصالح رسول بريء من (الخسار) فكيف يقول أنهم لا يزيدونه غير تخسير؟ والجواب على ذلك أن ثراء الأسلوب القرآني هنا يوضح لنا هذه المعاني كلها فليس المقصود من نسبة الخسار إليه إنه خاسر ساعة قال هذا الكلام.بل المراد خسار مترتب على عصيانه ربه- لو عصاه- فضلاً عن هذا الخسار خذلانهم إياه (٨٥). وهذا هو سر اختيار الفاصلة(تخسير).فالتخسير أما أن يكون واقعا" عليهم من صالح_عليه السلام وإما أن يكون واقعا"منهم على صالح،والله أعلم

(٦٤)((وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ)).

كما أشرنا من قبل فإن القرآن إنما يختار الفواصل لسبب ما ويختار غيرها لسبب آخر فهو يراعي المعنى والسياق وجو السورة كما يراعي الأمور التعبيرية ومن اجل هذا نلحظ أن اختيار الفاصلة(قريب) ووصف العذاب بالقرب لما اتصل بقوله (تمتعوا في داركم) فقال عذاب قريب،كونه في الدنيا(٨٦).

(٦٥)((فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ))

إن الوعد في القرآن الكريم هو لجملة الوعد والوعيد،وقد يكون توعدا"وتهديدا" ومنها هنا في هذه الفاصلة(ذلك وعد غير مكذوب) فهذا توعد وتهديد، والوعد على هذه الصورة قليل، ولانعدم أن يكون الوعد في مثل هذا المقام على حد مجئ البشرى في العذاب كما في قوله تعالى:(فبشرهم بعذاب اليم) آل عمران٢١ زيادة في التبكيت والتحقير من حيث أن الوعد تحصيل مأمول فلما جاء في موضع التهديد كان ازدراء" بهم وتنكيلا"لهم(٨٧).وهناك أمر آخر ففي قوله تعالى(وعد غير مكذوب)استعارة مكنيه تخيلية كأن الوعد قال له:أفي بك.فأن وفى به صدقه وإلا كذبه.فهناك استعارة مكنيه تخيلية وقيل مجاز مرسل بجعل(مكذوب)بمعنى باطل ومتخلف.ولا يخفى ما في تسمية ذلك وعدا" من المبالغة في التهكم(٨٨).

(٦٦)((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)).

نلحظ أن الكلام هنا هو في سياق تنجية صالح والذين آمنوا معه بعد ما جاء أمر الله وقد ذكر أن الله نجاهم وقد وعدهم بالنجاة فقال مؤكدا"(أن ربك هو القوي العزيز)ولاشك أن النتيجة تحتاج إلى قوة فأكد قوته وعزته ب(أن) وقد ناسب تأكيد النتيجة تأكيد القوة.وهذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم تسلية وتقويه لعزمه، فالحق سبحانه مقتدر بأخذ كل كافر،ولا يعجزه شئ وفي هذا إنذار لمن كفروا برسالة رسول الله.

(٦٧)((وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)).

لعل في اختيار البيان القرآني لفظة(جاثمين)فاصلة دلالة على فظاعة المشهد،فالمتأمل لمعنى كلمة(جاثمين)يرى إنها مأخوذة من الفعل جثم جثوما" إذا وقع على وجهه كالطير إذا جثمت، والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الأخذ وسرعته،قال ابن عاشور(٨٩)((الجاثم المكب على صدره في الأرض مع قبض ساقيه كما يجثوا الأرنب،ولما كان ذلك اشد سكونا" وانقطاعا" عن اضطراب الأعضاء استعمل في الآية كناية عن همود الجثة بالموت،ويجوز أن يكون المراد تشبه حالة وقوعهم على وجوههم حين صعقوا بحالة الجاثم تفظيعا" لهيئة ميتهم)).

(٦٨)((كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ)).

إن في اختيار التعبير القرآني للجملتين في قوله تعالى(ألا أن ثمودا" كفروا) و(ألا بعدا" لثمود) تلخيص لما تقدم تفصيله من قصة ثمود فالجملة الأولى تلخيص ما انتهى إليه أمر ثمود ودعوة صالح،عليه السلام ، والثانية تلخيص ما جازاهم اله به. وإنما صرح بكفرهم مع كونه معلوما" تعليلا" لأستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلال في قوله تعالى (ألا بعد لثمود)(٩٠):وهذا هو السر في إبراز لفظة(ثمود) فاصلة والله اعلم.

(٦٩)((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)).

ومن الآيات التي جاء فيها(أن تفعل دالة على الماضي لفظا" ومعنا" قوله تعالى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) حيث أن مضي(أن لبث) لا يحتاج إلى بيان فهو وارد في سياق قصصي إخباري وقد شرح أبو حيان هذا التركيب بما يدل على انه ماضٍ فقال:لبث معناه تأخروا بطأ ويكون مغنى(ما لبث أن جاء): ما تأخر أن جاء بعجل حنيذ، كأنك قلت: فما أبطأ عن مجيئه بعجل(٩١).

والحنيذ: فعيل بمعنى مفعول أي المحنوذ وهو اللحم المشوي على حجارة محماة بالنار، وإنما ذكرت لفظة(حنيذ)لان الشيء أسرع من الطبخ، فهو عون على تعجيل إحضار الطعام للضيف، وإنما الفاء في قوله (فما لبث) للدلالة على التعقيب إسراعاً في إكرام الضيف، وإنما جاءهم بعجل؛لأن البقر كانت أكثر أمواله (٩٢).

(٧٠)((فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)).

قوله تعالى:(لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) بيان لقوله سبحانه (فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) فجعل عدم وصول أيديهم إليه كنايه عن إنهم ما كانوا يمدون أيديهم إلى الطعام، فجعل ذلك إمارة العداوة وإضمار الشر، استشعر في نفسه خوفا" فقال سبحانه (وأوجس منهم خيفة) وهي حالة تحصل من النفس بعد الهاجس لان الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس الحاضر،لكنهم أمنوا وطيبوا نفسه بقولهم:(لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط).

(٧١)((وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)).

والملاحظ (٩٣) أن كلمة (امرأة) يستعملها القرآن في المواضع التي تفقد فيها الحياة الزوجية بعض مقوماتها.سواء أكانت من جانب الرجل، أو من جانب المرأة ،ويؤثر كلمة(الزوج) متى استقامت تلك الحياة.في هذا التعبير(ومن وراء إسحاق يعقوب) إشارة إلى وجه تسمية يعقوب عليه السلام بهذا الاسم وهو انه كان يعقب بحسب هذه البشارة أباه إسحاق. ومن اجل هذا وقعت لفظة(يعقوب)فاصلة. وتوجيه البشارة إليها مع أن الأصل في ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونها عقيمة حريصة على الولد.

(٧٢)-(٧٣)((قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)).

العجيب صفة مشبهة من العجب وهو الحال العارض للإنسان من مشاهدة ما لا يعلم سببه ، ولذا يكثر في الأمور الشاذة النادرة للجهل، ولعل السر في اختيار الفاصلة(إن هذا لشئ عجيب) هنا هو تأكيد لصيغة التعجب فلذلك فصلت عن التي قبلها لأنها استئناف بياني،فبين الجملتين شبه كمال الاتصال(٩٤).لان العجب اكبر لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم وبعلها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب فالعجوز لا تلد، فإذا كانت عقيما" كانت عن الولادة أبعد إذ يستحيل على العقيم أن تلد.فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلها شيخ كان أبعد وأبعد ولذا أكد العجب بأن واللام.وفي اختيار وصف الحميد من بين الأسماء الحسنى كنايه بالمجيد كما وصف نفسه به لسعة هداية كتابه ، وسعة كرمه على عبادة وقوله(حميد مجيد) في مقام التعليل لقوله (رحمت الله...) أي انه تعالى مصدر كل فعل محمود وبركاته على من يشاء من عباده، وهو تذييل مقرر لمضمون الكلام قبله وأكد الخبر بـ (أن) واسمية الجملة، وإزالة التعجب المشوب بالإنكار في قول زوج إبراهيم (أألد وهذا بعلي شيخا") والتعبير بـ (امرأة) بدل زوجه في(وامرأته قائمه) وبـ (بعلي)بدل زوجي. سنة بيانية مطردة في نظم القرآن على كل زوجين لا ينجبان أو أصاب الحياة الزوجية خلل ما(٩٥).

(٧٤)-(٧٥)((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوط * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)).

الأواه: الذي يكثر التأوه، وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوه ويعبر بالأواه:عمن يظهر خشية الله تعالى. وقيل في قوله تعالى:(أواه منيب) أي المؤمن الداعي، وقيل أواه:هو دعاء، ويقال:هو الذي يتأوه من الذنوب.أما **المنيب**:فهو الذي يرجع إلى الله في كل أمر.والمراد هنا على ما ذكره الله سبحانه من مجادلته في قوم لوط جريا" على وصفه تعالى له بالحلم،فكان تقديم وصفه بالحلم انسب وأجرى وروده على مابني عليه.وقوله(يجادلنا)(٩٦).كلام مستأنف وهو انه حيث ذهب عنه الخوف قال:ما خطبكم أيها المرسلون فلما اخبروه أنهم يريدون قوم لوط قال(أتهلكون قوما"ما منهم لوطا")فهو عند ما علم أن هذا قرار الله وحكمه،عاد وأستغفر ربه وأناب إليه فناسب هنا تقديم الحليم على التأوه فهنا سبق حلمه عاطفته.وفي كلمة(٩٧)(منيب)التفاتة جميلة ولمحة فنية ذكية فعندما علم إبراهيم عليه السلام بعد أن جادلهم وألح عليهم بالجدل، إن هذا أمر الله،وهذا نافذ لا محالة اعرض وتاب وأناب (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) وليس من الله، وقد توصل هو إلى هذه القناعة فأعيز لهم دون أن يأمره الله بذلك، ولكن ظل في نفسه أمل ورغبة ورجاء أن يعودوا ويؤمنوا. والله أعلم.

(٧٦)((يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)).

لعل السر في اختيار الفاصلة(مردود) وفي إضافة لفظة(غير) إليها دلالة على أن العذاب نازل بالقوم لا محالة، ولا مرد له بجدال ولادعاء ولا غير ذلك، يتبين من خلال سياق الآية نفسها ففي قوله تعالى(أعرض)الدالة على الأمر،و(إنه قد جاء أمر ربك) الدالة على التحقيق،و(إنهم آتيهم عذاب غير مردود) تأكيد للجملة السابقة،وفي وقوع (أن) في بداية الجملتين،وإضافة الأمر إلى رب إبراهيم دون أمر الله ليعينهم ذلك على انقطاعه عن الجدال،كل ذلك يشير إلى وقوع العذاب ولا جدال في أمر الله.

(٧٧)((وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ))

العصيب: فعيل بمعنى المفعول من العصب واصل هذه المادة يفيد الشد والضغط وأكثر ما يستعمل فيما لا يرضي وفي الشر خاصة قيل سمي بذلك لأنه يعصب.اعني عصيب وعصيصب وعصوصب تدل على التكثير كأنه أريد اشتداد ما فيه من الأمور، وهذا ظاهر من خلال سياق الآية ففي قوله (سيء بهم)المبني للمفعول،(ضاق بهم ذرعا)الدالة على التميز كناية عما لاقوه من السوء وكناية عن ضيق الصدر،ولأجل هذا ختمت الآية بالفاصلة (عصيب).

(٧٨)((وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ))

إيثار الفاصلة ((أليس منكم رجل رشيد)) هو استئناف ابتدائي نحوي مسوق للحث على التعفف،وفي استخدامه ((ليس))التي تفيد النفي في الحال(٩٨).لأنه ليس في الجملة ما يدل على زمن محدد، وفي تنكير(رجل)التفخيم شأنه، وإيثار(رشيد) وهو صفة مشبه باسم الفاعل على(راشد) لما في الصفة المشبه من تمكن الصفة في الموصوف وثباتها فيه(٩٩)،كل ذلك مسوق للإنكار والتوبيخ لان إهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة،يتبين ذلك من خلال أفعال قوم لوط ضمن سياق هذه الآية ففي إيثار لفظة(يهرعون) دون ضروب السير الأخرى مثل(يمشون- يسيرون)لان هذا الفعل لا يسد مسده فعل آخر من نظائره،وفيه دلالة على أنهم حين قصدوا بيت لوط كانوا أسراء شهواتهم الجامحة،وفي قوله(كانوا يعملون السيئات) اعتراض مسوق للتشنيع عليهم وإصرارهم على ارتكاب الفاحشة.

(٧٩)((قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ))

الذي يجب الالتفات إليه هنا أن قوله (لقد علمت) تأكيد لكونه يعلم فأكد بتنزيله منزلة من ينكر انه يعلم لان حاله في عرض بناته عليهم كحال من لايعلم خلقهم،وفي إيراده(ما) مفعول ل(تعلم) وهي بمعنى تعرف وهي موصولة كل ذلك استدعى التوكيد في قول (وانك لتعلم ما نريد)وكلا الخبرين مستعمل في لازم الفائدة وهذا هو السبب في إيراده كفاصلة.

(٨٠)((قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)) الركن حقيقة" في أركان البناء التي يعتمد عليها البناء ،ثم يتجوز به عن العشيرة المعتمد عليها في النصرة والمؤازرة تشبيها" للاعتماد عليها باعتماد البناء على الأركان واستعارة الركن للمعين ابلغ، لان الركن مرئي وملموس في اعتماد البناء عليه بخلاف المعين فهو لا يحس من حيث هو معين، فالاستعارة هنا أصلية (١٠٠)، قال الشريف الرضي(١٠١) في كلامه عن الفاصلة في هذه الآية قوله تعالى (أو آوي إلى ركن شديد) وهذه استعارة والمراد بها قومه وعشيرته ،جعلهم ركنا" له لان الإنسان يلجيء إلى قبيلته ويستند إلى أعوانه كما يستند إلى ركن البناء الرصين،وجاء جواب(لو)محذوفا"تقديره: لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد،والحذف هنا ابلغ لأنه يوهم بعظيم الجزاء وغليظ النكال.

(٨١)((قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ))

جاء في فاصلة الآية هذا الاستفهام وقوله (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) توكيد الخبر في الأولى تثبيتا" للوط عليه السلام والثانية استئناف تذييلي مؤكد لمضمون الجملة قبله.ودخول الباء على خبر(ليس)لتقوية النسبة بين المسند إليه والمسند، وإظهار الوقت الذي سجل عليهم في العذاب(١٠٢)لأنه وقت الدعة والهدوء فيكون العذاب اشد نكولا".

(٨٢)-(٨٣)((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)).

السين والجيم واللام تدل على أصل واحد هو أنصاب شئ بعد امتلائه(١٠٣)،وهو بمعنى الإرسال كما ذكره الراغب في مفرداته(١٠٤).وفي إيثار الفاصلة(سجيل منضود)وصف الحجارة بذلك إلا أن الحجارة لما جعلت من سجيل اجري الوصف على سجيل وهو يفضي إلى وصف الحجارة لأنها منه،وفيه دلالة على إرسال العذاب بعضه اثر بعض وقد نضر في السماء نضرا" معدا"للعذاب، وكلمة الحجارة تعطي الإحساس بالصلابة وهو قد نزل منضودا" أي بتتابع في نظام وكأن كل حجر يعرف صاحبه يظهر ذلك من لفظة(مسومة)أي معلمة للعذاب، وإنما أقتصر على ذكر جعل العالي سافلا" لأنه ادخل في الاهانة (١٠٥).وكلمة(الظالمين)الواردة في نهاية الآية الأخرى مسوقة للتهديد والمعنى وليست هذه الحجارة من الظالمين ببعيد،ويؤيده العدول من سياق التكلم إلى الغيبة في قوله(مسومة عند ربك)فكأنه تعالى عدل عن مثل قولنا:مسومة عندنا إلى هذا التعبير ليتعرض لقومه بالتهديد ليكون أقوى تأثيرا"،وفي تذكير لفظة(بعيد) أما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف تقديره: وما هي بمكان بعيد بل قريب، وأما لان العقوبة والعقاب واحد، وأما لتأويل الحجارة بعذاب.والله اعلم.

(٨٤)-(٨٥)-(٨٦)((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)).

وصف اليوم بالإحاطة هنا أبلغ من وصف العذاب لأن اليوم زمان وهي حال العذاب على الإسناد المجازي وفيه من المبالغة مالا يخفى لان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد أجتمع للمعذب ما أشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه.وأما إحاطة العذاب على قوم فقد يكون بأن يصيب كل فرد منهم فردا" من أفراد العذاب وأما فيما نحن فيه فيدل على إحاطة أنواع العذاب المشتمل عليها اليوم بكل فرد(١٠٦).

وفي قوله تعالى(إني أخاف عليكم) إشارة إلى يوم نزول عذاب الاستئصال كون ذلك اليوم محيطا" وأنه لا مفر منه ولا ملاذ من دون الله ولذلك خصه كفاصلة للدلالة على قرب وقوع العذاب فلا يرفع فيه ناصر ولامعين،ويؤول معنى الإحاطة إلى كون العذاب قطيعا"لامناص منه. وفي إيثار الفاصلة(ولا تعثوا...مفسدين)فهي حال من ضمير(لا تعثوا) مؤكدة لعاملها مثل التوكيد اللفظي مبالغة في النهي عن الفساد لإفادة التوكيد نظير ما يفيده قولنا:لا تفسدوا إفساداً؛لان العيث والعثي أكثر ما يقال في الفساد الذي يدرك حسا" أو حكما" كما ذكر الراغب في مفرداته (١٠٧)،وفي ذلك إشارة لما سبقه من سياق الآية فان النقص في المكيال والميزان ونجس الناس لأشيائهم هي مفسرة عظيمة بجمع خصلتي السرقة والغدر،ثم ارتقى في تعليل النهي بأنه يخاف عليهم عذابا"يحل بهم أما يوم القيامة وأما في الدنيا ولصلاحيته للأمرين أجمله بقوله (عذاب يوم محيط).ولذلك وحرصا" عليهم فقد قدم جواب الشرط (بقيت الله)على فعل الشرط(أن كنتم مؤمنين) وهذا التقديم للترغيب ولأطماعهم فيما عند الله ولذلك ختم الآية بالفاصلة(وما انأ عليكم بحفيظ).

(٨٧)((قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)).

لما تقدم في الآية الكريمة ذكر العبادة،وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لان الحلم يناسب العبادات،والرشد يناسب الأموال(١٠٨).فكان آخر الآية مناسبا" لأولها مناسبة معنوية وهذا ما يسمى ملائمة.ولو دققنا في المقطع الأخير وهو قوله (انك لأنت الحليم الرشيد)سنجد أن مقاطع النبر فيه عالية ويمكن وصفها بالآتي(١٠٩):حيث زيادة الحروف تعبر عن طول النطق (انك لأنت الحليم الرشيد)وهذا كما يفسره علماء الطبيعة سلوك حركي عضوي،ذلك أن المقطع المنبور نبرا" عاليا" ينطق مصحوبا" بشد عضلي في مناطق أخرى مثل(عضلات الفم والقفص الصدري)هذه النبرة

تزيد المفارقة سخرية ويلحظ في هذا أنهم صوبوا نقيض ما وصفوه به إلى أنفسهم في الوقت الذي رغبوا فيه بنقيض هذه الصفات.

(٨٨)((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)).

تقديم المجرورين (عليه واليه) لرعاية الفاصلة قبلها ولإفادة الاختصاص(١١٠). وذلك لان التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده وهو ما يسمى قصر صفة على موصوف، فالصفة المقصودة هي الإنابة، والمقصود عليه هو ضمير اسم الجلالة في(إليه)وهو الهاء.وقد فصلت جملة(عليه توكلت)عما قبلها لكمال الاتصال لان الثانية توكيد معنوي للأولى،ووصلت جملة(واليه أنيب)بما قبلها للتوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظا" ومعنى.وفي إيثار(١١١) صيغة الاستقبال(أنيب)على الماضي لأنه الأنسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاسمرار،ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة،وإما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء.

(٨٩)-(٩٠)((وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)).

جملة ((وما قوم لوط منكم ببعيد))في موضع الحال من ضمير النصب في قوله((أن يصيبكم)) والواو رابطة للجملة،ولمعنى الحال هنا مزيد مناسبة لمضمون جملتها إذ اعتبر قرب زمانهم بالمخاطبين كأنه حال من أحوال المخاطبين، وفي إيثار لفظة((بعيد)) وإفرادها مع تذكيرها لان المراد(وما إهلاكهم ببعيد))على نية المضاف أو (وما هم بشى بعيد)لان المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لان حيث خصوصية كونهم قوما" أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد(١١٢). وفي إيثار الفاصلة(رحيم ودود) تعليل للأمر باستغفاره والتوبة إليه، فالاستغفار يقابل الرحمة، والتوبة تقابل المودة. وفي إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لأنه ذكر في مرحلة الأمر بالاستغفار والتوبة من الله سبحانه صفة ربوبيته لان الصفة التي ترتبط بها العبادة ومنها الاستغفار والتوبة ولتذكيرهم بأنه ربهم كيلا يستمروا على الإعراض،وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته.

(٩١)((قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)).

مِن الأغراض النفسية للتقديم والتأخير،التشويق: فقد يتقدم بعض الكلام على بعض لغرض تشويق النفس إلى معرفة الخبر التالي ومنه قوله تعالى هنا(ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) كأن قوم شعيب أحبوا أن يثبتوا العزة لرهطه وقومه في الوقت الذي ينفونهما عنه،كأنه قيل أنت لست العزيز وإنما هم قومك. فانظر إلى الملحظ النفسي الذي كان يهدف إليه قوم شعيب من هذا الكلام إذ لولا هذا التقديم لما وقفنا عليه(١١٣).ولعل الغرض من تقديم هذا الضمير وإيلائه حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا" للدلالة على الحصر والاختصاص وغير خال من الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل كأنه قيل:وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا.وفي تعديته بحرف(على) لما فيه من معنى الشدة والوقوع على النفس.

(٩٢)((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)).

قوله سبحانه وتعالى(إن ربي بما تعملون محيط) أسلوب خبري مستعمل في التهديد والوعيد، وتأكيده بـ (ان) واسمية الجملة للمبالغة في التهديد ولأن مضمون الخبر حقيقة عظيمة ومن حق الحقائق العظيمة أن يعبر عنها بأسلوب فخم عظيم مثلها.وفي قوله(محيط)استعارة تبعية شبه فيها علم الله بكل شئ بإحاطة الظرف بالمظروف.وتقديم(بما تعملون)على(محيط) للاهتمام ولرعاية الفاصلة ولما فيه من المبالغة في التهديد(١١٤).

(٩٣)((وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)).

لَعل في اختيار البيان القرآني للفاصلة(إني معكم رقيب)(١١٥) للدلالة على قرب مجئ عذاب الله عز وجل ونزوله بهم، يتبين ذلك من خلال سياق الآية قبلها ففي قوله (إني عامل) تعريض بهم،وفي قوله (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) إشارة إلى عاقبتهم.وفي قوله(سوف تعلمون)استئناف وقع جواب سؤال مقدر ناشئ من تهديده عليه السلام إياهم بقوله (اعملوا) كأن سائلا" منهم سأل فماذا يكون بعد ذلك؟ فقيل(سوف تعلمون)ولذا سقطت(الفاء)هنا لأنها جاءت على لسان نبي الله شعيب وهو يحاور قومه ويجادلهم ويأمل منهم الخير والصلاح والإيمان، ولما يصدر أمر الله فيهم فالمسألة أكثر سعة وبعدا" لذلك لم يستخدم القرآن حرف الفاء وإنما تركها مفتوحة بلا تحديد.بينما جاءت في الآية(٣٩) من نفس السورة مقرونة (بالفاء)لأنها جاءت على لسان نوح عليه السلام إذ دعا دعوته عليهم وأمره الله سبحانه وتعالى أن يصنع السفينة والعمل جار، وأمر الله واقع لا محالة وقريب النفاذ وهو صادر ومحسوم فجاءت الفاء لتدل على قرب وقوع السخرية عليهم وقرب مجئ العذاب.

(٩٤)-(٩٥)((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ))

وقع الجثوم في القرآن الكريم عند ذكر هلاك الأمم بإرسال الصيحة عليهم أو الرجفة فيصبحون جاثمين لاحقين بالأرض لا يرجون مكانهم. وفي الميم حظ من صورة الجثوم لأنها تلبد في الفه لما يعتريها من الغنة وكما أن الجثوم موضوع لتجمع الشيء في مكانه كذلك صفة الميم إذ أنها تتجمع في الفم فلا يخرج الهواء من الشفتين بل يتخذ طريقه من الفم إلى الخيشوم(١١٦).وهنا أمر يدعو إلى التفريق بين صيغة الجمع وصيغة الأفراد فقد قال تعالى في سورة الأعراف/آية(٧٨) (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين))وسورة الأعراف/٩١وسورة العنكبوت/ ٣٧فوجد لفظة ((دارهم))في هذه المواضع، بينما في سورة هود هنا وفي الآية(٦٧) من نفس السورة بصيغة الجمع((ديارهم)) فالذي يلحظ هنا أنه وحد- الدار- مع- الرجفة- وحيث ذكر الصيحة جاء بالجمع وذلك يعود إلى أن الصيحة كانت من السماء فمدى بلوغها أكثر وابلغ من الرجفة لأن الرجفة هي الزلزلة وهي تختص بجزء من الأرض وهو موضع العذاب فذكر معها الدار فأتصل كل واحد بما يليق به (١١٧). وهنا أمر آخر يدعو إلى البحث عن سبب ذكر التاء في الفعل((أخذت)) وحذفها في قصة صالح من نفس السورة(اية٦٧) فالجواب:إن الصيحة في قصة صالح في معنى العذاب والخزي إذا كانت منتظمة بقوله سبحانه وتعالى((اية٦٦))فصارت الصيحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية، فقوي التذكير،بخلاف الآية الأخرى(١١٨).والله اعلم.

ولإظهار ما لحقهم من عذاب فقد قال سبحانه((كأن لم يغنوا)):أي كأنهم لم يكونوا فيها،وفي قوله((كما بعدت ثمود))فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود،ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة،وفي العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على طغيانهم الذي أداهم إلى هذه الحال وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم.

(٩٦)-(٩٧)((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ))

الرشيد: فعيل من الرشد من باب نصر وفرح، إذا اتصف بإصابة الصواب.واجري وصف رشيد على الأمر مجازا"عقليا".وإنما الرشيد الآمر مبالغة في اشتمال الأمر على ما يقتضي انتفاء الرشيد فكأن الأمر هو الموصوف بعدم الرشد(١١٩).وفي إيثار لفظة(رشيد) لأنها من(الرشد)الذي هو اخص من الرشد،فأن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير(١٢٠). وإظهار اسم فرعون في المرة الثانية دون الضمير والمرة الثالثة للتشهير به والإعلان بذمه.ولعل الفائدة فيه ما يفيد اسم فرعون من الدليل على عدم رشد الأمر ولا يستفاد ذلك من الضمير البتة.وقوله(إلى فرعون) متعلق بقوله(بآياتنا وسلطان مبين) فالباء في قوله(بآياتنا)للمصاحبة أي ولقد أرسلنا موسى مصحوبا"بآياتنا.

(٩٨)((يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)).

الورد:الواو والراء والدال أصلان : احدهما الموافاة إلى الشيء (١٢١).وفي قوله(فأوردهم...المورود)استعارة الإيراد إلى التقدم بالناس إلى العذاب، وهي تهكمية لان الإيراد يكون لأجل الانتفاع بالسقي وأما التقدم بقومه إلى النار فهو ضد ذلك،يقول محمد علي الصابوني(١٢٢).(فأوردهم النار فيه استعارة مكنية لان الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستسقاء منه فشبه النار بماء يورد وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو الورود وشبه فرعون في تقدمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش وقوله (وبئس الورد المورود) تأكيدا" له لأن الورد يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد وفي النار إلهاب للعطش وتقطيع للأكباد).وإنما جاء(أوردهم)بلفظ الماضي وسياق الكلام يقتضي أن يكون مضارعا" لأراءة الصورة كأنها أمر بت فيه،وفرغ منه،وتحقق وقوعه(١٢٣).

(٩٩)((وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)).

الرفد: الراء والفاء والدال أصل واحد مطرد منقاس، وهو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره(١٢٤).قال الزجاج:كل شئ جعلته عونا" لشئ وأسندت به شيئا"،فقد رفدت هبه(١٢٥).والمعنى بئس الرفد رفدهم يوم القيامة وهو النار التي يسجرون فيها.وجملة(بئس الرفد المرفود) مستأنفة لإنشاء ذم العنة. والمخصوم بالذم محذوف دل عليه ذكر اللعنة،أي بئس الرفد هي. وفي حذف المخصوص بالمدح إيجاز ليكون الذم متوجها"لإحدى اللعنتين لان كلتيهما بئيس. وإطلاق الرفد على اللعنة استعارة تهكمية، ووصف الرفد بالمرفود لان كلتا اللعنتين معضودة بأخرى فشبهت كل واحدة بمن أعطي عطاء فهي مرفودة. وإنما اجري المرفود على التنكير باعتبار أنه أطلق عليه رفد.

(١٠٠)-(١٠١)((ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ)).

إن القرآن يستخدم أسلوب الطباق كثيرا" وهي كثرة قد تفوق كل ألوان ما يسمى(البديع) وذلك للعظة والاعتبار عند ما يقص أبناء الأمم الماضية فقوله سبحانه(منها قائم وحصيد):حال من القرى وهي جملة استئنافية للتحريض على النظر في ذلك واعتبار، فقد شبه مابقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه،وشبه ما هلك مع أهله ولم يبق له اثر بالزرع المحصود بالمناجل على طريق الاستعارة المكنية. ولعل في إيثار الجملة الحالية كفاصلة ابلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين كما ذكر ذلك أبو حيان الأندلسي(١٢٦). ومعلوم انه كلما كان عمل وعقوبة عليه كان احدهما ظلما" أما العمل وأما العقوبة عليه فإذا لم تكن العقوبة ظلما" كان الظلم هو العمل الذي استتبع العقوبة وإلى ذلك أشار سبحانه(وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم)

فمحصلة الأمر أن الله عاقبهم بظلمهم ولم تغن عنهم آلهتهم وهذا ما كشفته الفاصلة(وما زادوهم غير تتبيب)وذلك أن أضامهم زادتهم تتبيبا"لما جاء أمر الله،وهذا ظاهر من عطفه على الفعل المقيد ب(لما) التوقيتية المفيدة أن ذلك كان في وقت مجئ أمر الله وهو حلول العذاب بهم ونسبة التتبيب إلى آلهتهم على سبيل المجاز وهو منسوب في الحقيقة إلى دعائهم إياها وذلك ما زاد في تشديد العذاب عليهم وتغليظ العقاب.

(١٠٢)((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))

قوله سبحانه أن أخذه شديد) في موضع البيان لمضمون(وكذلك اخذ ربك) إذا احل الترتيب(واخذ ربك كذلك) وإنما قدم الخبر هنا للفت الأذهان إلى ما تقدم من قصص الأمم السابقة لتكون حاضرة في الذهن.والتشبيه في نهاية الآية هنا في الكيفية والعاقبة وهو الإشارة إلى المذكور من استئصال القرى وهو نوع من فن التشبيه غرضه بيان وجه الشبه وهو الألم والشدة.ويلحظ هنا تكرار هذا الفعل القريب الهائل الطاقة(اخذ)(اخذ)(اخذه)لتوكيد انه عنيف مغاير لما يعهدون، ونتصور معه امحاء القرى وكأنها بقع كبيرة لا تلبث أن تزول في غيرما جهة(١٢٧) وفائدة ذلك الإشعار بأنهم إنما اخذوا بسبب ظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم.

(١٠٣)(١٠٤)((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ))

لعل في اختيار التعبير القرآني للفاصلة(وذلك يوم مشهود) وعطفه على(ذلك يوم مجموع له الناس) لزيادة التهويل وتمييزه من بين الأيام فأن جعلته مشهودا"في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا" فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا" فيه دونها(١٢٨).وفي إيثار اسم المفعول(مجموع) دون أن يقال(سيجمع)أو(يجمع) هو لما فيه اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لابد من أن يكون ميعادا"مضروبا" لجمع الناس له،وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وإنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد:انك لمنهوب مالك عروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ماليس في الفعل والاتساع في الظرف(١٢٩)، ولو انه عبر بالفعل لم يقع ذلك الموقع ولا شعر بالتجدد والتبدل.وقوله (وما نؤخره.....)معترضة بين جملة(وذلك يوم مشهود)وبين جملة(يوم يأت)والمقصود الرد على المنكر للبعث مستدلين بتأخير وقوعه في حين تكذيبهم به يحسبون ذلك يغيظ الله فيجعله لهم جهلا"منهم بمقام الإلهية فلفظة (المعدود)هنا أطلقت كناية عن المعين المضبوط بحيث لا يتأخر ولا يتقدم لان المعدود يلزمه التعيين.

(١٠٥)(١٠٦)(١٠٧)(١٠٨)((يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ))

الوقوف على كلمة(يأت) لا يخلو من نغم،وكذلك يعني الوقوف هنا استحضار الذهن لتلقي النتيجة حيث الشقاء والسعادة(١٣٠).وقد جاء سبحانه بالاسم المحدد لكل من القسمين:(شقي)و(سعيد)وصيغة الاسم يدل على الثبوت(١٣١)، فالشقاء ثابت لمن نعت بالشقي،والسعادة ثابتة لمن نعت بالسعيد وخص سبحانه بالذكر من أحوالهم في جهنم(الزفير) و(الشهيق)تنفيرا"من أسباب المصير إلى النار لما فيه ذكر هاتين الحالتين من التشويه بهم وذلك أخوف لهم من الألم(١٣٢). والمراد الدلالة على شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وان حصر في روحه أو تشبيه أصواتهم بأصوات الحمير ففي الكلام استعارة تمثيلية.وأما الاستثناء بالمشيئة في هذه الآية (إلا ما شاء ربك)فقد استعمل في أسلوب القرآن للدلالة على الثبوت والاستمرار.والنكتة في ذكره بيان أن هذه الأمور إنما كانت بمشيئة الله تعالى ولو شاء لغيرها وليس شيء خارج عن مشيئته فالإيمان والكفر والسعادة والشقاوة كلها بمشيئته فهو فعال لما يريد(١٣٣).إذن فهو استثناء في الزيادة من العذاب لهول النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة.وفي إيثار لفظة(مجذوذ)على صيغة اسم المفعول بيان لمكوث أهل الجنة فيها وتأبيد لاستقرارهم في مأواه فهو غير مقطوع وممتد إلى غير نهاية.والله اعلم.

(١٠٩)((فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ))

استعمل(موفوهم)و(نصيبهم)هنا استعمالا" تهكميا"كأن لهم عطاء يسألونه فوفوه فوقع قوله(غير منقوص)حالا"مؤكدة لتحقيق التوفية زيادة في التهكم لان من إكرام الموعود بالعطاء أن يؤكد له الوعد ويسمى ذلك بالبشارة.يقول الشعراوي(١٣٤)المفهوم من كلمة(نصيب)إنها للرزق ويذكرها الحق سبحانه هنا لتقرير نصيب من العذاب،وفي هذا تهكم عليهم وسخرية منهم).

(١١٠)((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ))

ختمت هذه الآية بالفاصلة(وإنهم لفي شك منه مريب)لان سياق الآية قبلها في الكلام على اختلاف أمة موسى وهم اليهود،فناسب الإرابة إلقاء الشك في القلب،وهذا بطبيعته يؤدي إلى اختلافهم فناسب الفاصلة سياق الكلام قبلها.ولعل في توصيف الشك بالمريب من قبيل قوله(حجابا"مستورا")و(حجرا" محجورا")ويفيد تأكيدا" لمعنى الشك.ويلحظ(١٣٥)في الفاصلة(وإنهم لفي شك منه مريب)انه قد جئ بالأداة (في)الدالة على انغماس صاحبها وانقماعه وتدسسه.

(١١١)((وَإِنَّ كُلاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))

التعبير بالفاصلة(انه بما يعملون خبير)استئناف وتعليل للتوفية لأن إحاطة العلم بأعمالهم مع إرادة جزائهم توجب أن يكون الجزاء مطابقا"للعمل تمام المطابق وذلك محقق التوفية(١٣٦).وتوكيد الخبر بالفاصلة أعلاه له داعيان بلاغيان:أحدهما الرد على منكري هذه الحقيقة.والثاني:مضمون الخبر نفسه؛لأنه من الحقائق العظيمة الراسخة رسوخ الجبال.وتقديم المعمول(بما يعملون)على العامل(خبير) والأصل أن يقال:خبير بما تعملون.له غرضان بلاغيان هما تناسق الإيقاع الصوتي في فواصل الآيات القرآنية.والآخر حصر عمل العباد بين الله وعلمه،فالأول غرض لفظي لتيسير القرآن للذكر،والثاني غرض معنوي بالغ الرقة.والآية- كلها- مسومة لعدة أغراض:بيان القدرة الإلهية والامتنان على العباد بهذه النعم.والبرهنة على وجود الله وتفرده بالإلوهية.

(١١٢)((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))).

قوله سبحانه:(انه بما تعملون بصير)استئناف تعليلي للنهي في(ولاتطغوا)وتوكيد الخبر ب(أن+اسمية الجملة)لان مضمون الخبر من الحقائق العظيمة،وفي إيثار الصفة المشبهة(بصير)زيادة تقرير بأن الله مطلع على كل عمل يعلمه الناس ولذلك اختير وصف(بصير)من بين الأسماء الحسنى لدلالة مادته على العلم البين ودلالته صنعته على قوته.وفي تقديم المعمول(بما تعلمون)على العامل(بصير)لتوافق الفواصل مع إظهار العناية بسعة علم الله البصير بكل شئ.وهناك(١٣٧)أمر آخر وهو انه لما ورد أمر الله تعالى بالاستقامة وعدم الطغيان فقد ختم الآية بالفاصلة(بصير)لتحذير من أخفى الطغيان بأن الله مطلع على كل عمل يعمله المسلمون.

(١١٣) ((وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)).

لما كان الركون إلى الظالم(دون فعل الظالم)وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم،ومس النار في الحقيقة دون الإحراق ولما كان الإحراق عقاب الظالم اوجب العدل أن يكون المس عقاب الراكن إلى الظالم فلهذا عدل- عز وجل- عن قول(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)فتدخلوا النار لكون الدخول مظنة الإحراق،وخصص(المس)ليشير به إلى مايقتضي الركون من العقاب،ويتميز بين مايستحق الظالم،وما يستحق الراكن إليه من العقاب وان كان مس النار قد يطلق ويراد به الإحراق.ولكن هذا الإطلاق مجاز،والحقيقة ماذكرنه،لان حقيقة(المس)أول ملاقاة الجسم حرارة النار.وإذا احتمل اللفظ احتمالين صرف منهما إلى ماتدل عليه القرائن،والائتلاف في هذه الآية معنوي وهو في التي قبلها لفظي(١٣٨).والتعبير ب(ثم)في الفاصلة(ثم لاتنصرون)للدلالة على اختتام الأمر على ذلك بالخيبة والخذلان كأنه قيل:تمسكم النار وليس لكم إلا الله فترعونه وتستنصرونه فلا ينصركم فيؤول أمركم إلى الخسران والخيبة والخذلان.

(١١٤) ((وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)).

ختمت هذه الآية بالفاصلة:(ذلك ذكرى للذاكرين)وفيه إشارة إلى أتم ذكر وهو أن الحسنات يذهبن السيئات على رفعة قدره تذكار للمتلبسين بذكر الله تعالى من عباده،وهي تعليل لقوله(وأقم الصلاة)لان سياق الآية قبلها يدل على أن الصلوات خمس،لأنه عز وجل- أشار إلى صلاتي النهار بقوله:(طرفي النهار)ودل على صلوات الليل بقوله تعالى:(وزلفا من الليل).وهناك أمر آخر وهو بيان أن الصلوات حسنات واردة على نفوس المؤمنين تذهب بآثار المعاصي وهي ماتعتريها من السيئات.

(١١٥)((وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)).

لعل في إيراد الفاصلة(فأن الله لايضيع أجر المحسنين)لان سياق الكلام قبلها في الكلام على إقامة الصلاة،والصبر في الأخلاق،لان اجتماعهما أحسن وسيلة يستعان بها على المكارة.فالصبر يحفظ النفس عن القلق والجزع،والصلاة توجهها إلى ناحية الله فتنسى ماتلقاه من المكارة. وعبر(١٣٩)عن ذلك بنفي الإضاعة بيانا" لكمال نزاهته تعالى عن حرمانهم شيئا" من ثوابهم.وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة فائدة عامة لكل من يتصف بذلك وهو تعليل للأمر بالصبر.

(١١٦)((فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)).

قوله سبحانه بعد حرف التحضيض(فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية)قد يبين العزاء أن هذا التركيب يفيد المضي،كما يفيد الاستقبال فمن دلالته على المضي الآية السابقة لأنها في معنى(لم يكن احد منهم كذلك قليلا"،أي هؤلاء كانوا ينهون فنجوا)(١٤٠).وقوله في نهاية الآية(واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين)بيان حال للباغي منهم بعد الاستثناء وعرفهم بأنهم الذين ظلموا وبين أنهم اتبعوا لذائذ الدنيا التي أترفوا فيها وكانوا مجرمين.

(١١٧)((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)).

ختمت هذه الآية بقوله (وأهلها مصلحون)لان سياق الكلام قبلها في الكلام على الإصلاح والنهي عن الفساد في الأرض ولذا ختمت بالإصلاح متناسبة بذلك مع سياق الآية الذي هي فيه(١٤١).وقد جاء التركيب(وما كان ربك ليهلك القرى) دالا" على الزمن العام لان الله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم.قال الزمخشري(١٤٢):واستحال في الحكمة أن يهلك القرى ظالما"لها.ويفسر أبو حيان الآية تفسير يتفق مع الزمن الذي يدل عليه التركيب يقول(١٤٣).(وماكان الله ليعذب امة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الإيمان).

(١١٨)- (١١٩)((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))).

في إيراد لفظة (أجمعين)تأكيد لشمول تثنية كلا النوعين لا لشمول جميع الأفراد ولمنافاته لمعنى التبعيض الذي أفادته(من).ولعل السر في تقديم الجن هنا(١٤٤).لان عداوة الإنس للرسل ظاهر أمرها.وعنادهم لهم لا يحتاج إلى دليل. تحدث عن ذلك القرآن مبينا" الصراع الطويل بين قوى الهداية والخير متمثلة في الرسل،وقوى الظلال والشر متمثلة الناس المخالفين لدعوة الرسل.فبنو إسرائيل وهم من الإنس تمردوا على الرسل وقتلوهم.ولم تقتل الجن نبيا"أو رسولا".هذا الظهور في عداوة الإنس للرسل جعلهم اصلاء في هذا المقام جديرين بالتقديم فيه.أما عداوة الجن للرسل فهي مساع وحيل متخفية،يدركها العقل ولا تذكرها الحواس،فهي تأتي في المرحلة الثانية بعد عداوة الإنس للرسل والتمرد عليهم وقتلهم.فالتقديم- إذن- ليس للتشريف بل لان المقدم اكبر شأنا"من حيث اتصاله بالحقيقة التي سبق من اجلها الكلام.

(١٢٠)((وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))

في بناء الفاصلة(للمؤمنين)على حرف المد والنون غرضان بلاغيان:الأول تناسق فواصل الآيات(مختلفين-أجمعين)هذا من جهة اللفظ.والثاني:الحث على تحصيل الإيمان عند من لم يؤمنوا،وتثبيت فؤاد الرسل فيما هو عليه من سلوك سبيل الدعوة إلى الحق،وقطع منابت الفساد.وفيه مدح وثناء للإيمان وأهله،وتعريض وذم لاولئك الذين استهانوا بالقرآن.وفي تنكير(موعظة وذكرى)للتعظيم.قال الالوسي(١٤٥)(لعل تحلية الوصف الأول بالأم دون الآخرين لما قيل:من أن الأول حال للشيء في نفسه والأخير أن وصفان له بالقياس إلى غيره.وقيل إنما عرف الأول لان المراد منهما يختص بالنبي من إرشاده إلى الدعوة وتسليته بما هو معروف معهود عنده وأما الموعظة والتذكير فأمر عام لم ينظر فيه لخصوصية، ففرق بين الوصفين للفرق بين الموصوفين.وتقديم الظرف على الفاعل ليتمكن المؤخر عنه وروده أفضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم).

(١٢١)(١٢٢)((وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ))

يرد هذا الأسلوب(إنا منتظرون)كثيرا"في القرآن الكريم،ويراد منه التحقيق والوعيد:تحقيق ماينتظر،والتلويح بالتهديد.يعني سترون مايحل بكم من عذاب،وسنرى معكم مايحل بكم لتعلموا صدقنا وأكاذيبكم(١٤٦).وصيغة الأمر في الموضعين((إعملوا))و((انتظروا))للتهديد والوعيد.

(١٢٣)((وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)).

ختمت الآية بالفاصلة((وما ربك بغافل عما تعملون)لتربية المهابة عند المخاطبين أصالة، وعند غيرهم تبعا".وهو خبرمستعجل في التهديد والوعيد لا في إفادة فائدة الخبر،ولا في لازمها.وفي تقديم(بغافل)على(عماتعملون)لأنه محط الفائدة،لان نفي الغفلة معناه:انه محيط علما"بكل مادق وكبرمن الأعمال فلا مضر من مساءلته للعاملين،وتوفيتهم حسابهم.والمقام يقتضي الالتجاء إلى ملجأ لا يقهره قاهر ولا يغلب عليه غالب.وهو الله سبحانه،ولذلك ختمت بالفاصلة أعلاه.

الخاتمة

ولله الفضل وحده في إكمال مسيرة البحث حتى آخره في رحاب الفاصلة القرآنية والمعاني الإيمانية العظيمة ويمكن أن نسجل أهم نتائج غرس هذا الزرع فيما يأتي:

١- أن الفواصل القرآنية لم تأت عبثا"،وإنما هي كلمات مختارة منتقاة متناسقة مع موضوع الآية التي ختمتها.

٢- اتصال الفاصلة مع السياق قد يكون ظاهرا"لايحتاج إلى مزيد نظر،وقد يحتاج إلى دراية بمعاني الكلمات الدقيقة،وهذه الدراية هي التي تبين تمكن الفاصلة من موقعها.

٣- ليست الفواصل لمراعاة السجع أو لغرض لفظي،وإنما هي في المرتبة الأولى لإتمام الغرض المعنوي،ولو أبدلنا مكان هذه الفاصلة لفظا"آخر لفسد المعنى فمثلا"(الغفور)لايمكن استبداله ب(الغفار)مع أن كليهما يدل على ستر الذنوب.

٤- تحتفظ الفواصل القرآنية بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة ويستعمل القرآن في الفواصل حروفا"ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسمع حين الوقف عليها.

٥- في سبيل مراعاة الفاصلة القرآنية يقوم القرآن تقديم ماحقه التأخير كتقديم المعمول على العامل،وصرف مالا ينصرف.الخ

الهوامش

(١)لسان العرب:٢٧٣-١٠/٢٧٤
(٢)الدخان:٤٠
(٣)الصافات:٢١
(٤)البرهان في علوم القرآن:١/٥٣
(٥)الإتقان في علوم القرآن:٣/٢٣١
(٦)المصدر نفسه
(٧)التعبير القرآني:١٩٥
(٨)الإتقان في علوم القرآن:٣/١٣٢
(٩)البرهان في علوم القرآن:٥٣-١/٥٤
(١٠)إعجاز القرآن،دراسة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها:٢٠٦
(١١)أبحاث في أصوات العربية:١٤٣-١٤٤

(١٢)البيان في روائع القرآن،دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني:١٩٥-١/١٩٦
(١٣)تفسير التحرير والتنوير:٣١٥/مج ٥
(١٤)ينظر دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم،دراسة تحليلية:٤٢٢
(١٥)تفسير الشعراوي:١٠/٦٣١٢
(١٦)ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:٧٨٥
(١٧)ينظر إرشاد العقل السليم:٣/٢٨٥
(١٨)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٨٦-٢/٨٧
(١٩)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٨٨-٢/٨٩
(٢٠)ينظر تفسير الكشاف:٢/٣٦٧
(٢١)ينظر تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٤/٩
(٢٢)ينظر إرشاد العقل السليم:٣/٢٩٠،وينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١٢/٣٠٢
(٢٣)ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه:٣/٣٩٧
(٢٤)ينظر روح المعاني: ١٢/٣٠٢ ،وينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: /٤٠-٤٠٢/ ٢
(٢٥)ينظر تفسير التحرير والتنوير:١٢/١٨
(٢٦)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:٤٩١
(٢٧)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:١/١٢٠
(٢٨)ينظر تفسير التحرير والتنوير:١٢/٢٢
(٢٩)ينظر كتاب دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:١٦٨
(٣٠)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/٩٦
(٣١)ينظر تفسير التحرير والتنوير:١٢/٣٤
(٣٢)إعراب القرآن الكريم وبيانه:٤٠٥-٣/٤٠٦،وينظر الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة:١٢/٢٤٣
(٣٣)ينظر تفسير البيضاوي:١/٤٥٣
(٣٤)ينظر أوزان الفعل ومعانيها:٦١
(٣٥)ينظر معاني الأبنية في العربية:٨٧
(٣٦)ينظر التعبير القرآني:٢٠٦
(٣٧)ينظر الكتاب :٤/٢٨١،وينظر شرح المفصل:٦/٦٨،وينظر المنهج الصوتي للبنية العربية:١١٤
(٣٨)بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:١٧-١٨،وينظر الصورة الفنية في المثل القرآني:ص ٢٢٢وص٢٦٢ وص٢٨٤
(٣٩)تفسير الكشاف:٢/٣٧٣
(٤٠)تفسير البحر المحيط:٥/٢١٤
(٤١)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:٤٩١-٤٩٢
(٤٢)إعراب القرآن الكريم وبيانه:٤١٢-٣/٤١٣،وينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:١٢/٢٥١
(٤٣)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:٢٦٣-٢٦٤
(٤٤)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:٤٠٠-٢/٤٠١
(٤٥)ينظر روح المعاني:١٢/٣٣٦
(٤٦)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١٠٧
(٤٧)تفسير الكشاف:٢/٣٧٧
(٤٨)إعراب القرآن الكريم وبيانه:٣/٤٢٣،وينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:٢٦٦
(٤٩)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:٢/٤٢٥
(٥٠)إرشاد العقل السليم:٣/٣١٢،وينظر روح المعاني:١٢/٣٥٠
(٥١)ينظر الجامع لأحكام القرآن:٤/٣٣٥١
(٥٢)ينظر المدح والذم في القرآن الكريم:٦٤-٦٥
(٥٣)معجم المقاييس في اللغة:٧٧٢
(٥٤)الإتقان في علوم القرآن:١٧١-١/١٧٢،وينظر الزمن في القرآن الكريم:٤٢
(٥٥)ينظر الصرف الواضح:٢٧١
(٥٦)إرشاد العقل السليم:٣١٦-٣/٣١٧،وينظر روح المعاني:١٢/٣٦١
(٥٧)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:١٧٤
(٥٨)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:٤٦٢-٢/٤٦٣
(٥٩)ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه:٣/٤٣١
(٦٠)تفسير الكشاف: ٣٨٢-٢/٣٨٣ ،وينظر الطبيعة في القرآن الكريم:٤٨٣
(٦١)تفسير الكشاف:٢/٤٠٦،وينظر كتاب المدح والذم في القرآن الكريم:٦٥
(٦٢)البرهان في علوم القرآن:٤/١٦٨
(٦٣)ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه:٤٤١-٣/٤٤٢
(٦٤)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:١٧٩
(٦٥)ينظر تفسير التحرير والتنوير:١٢/٩٣
(٦٦)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١٠٨
(٦٧)ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:ص١٥
(٦٨)ينظر تفسير الشعراوي:٦٥٠٣-١١/٦٥٠٤
(٦٩)ينظر تفسير التحرير والتنوير: ١٢/٩٨
(٧٠)ينظر التعبير القرآني:٨١،وينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:٣١٥-٣١٦
(٧١) ينظر التعبير القرآني:٨١،وينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:٣١٥-٣١٦
(٧٢)ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه:٤٤٦-٣/٤٤٧
(٧٣)ينظر روح المعاني:١٢/٣٩٠،وينظر صفوة التفاسير:٢/٢٤،وينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة:١٢/٢٩٥
(٧٤)ينظر التفسير القيم:٣٠٤
(٧٥)لسان العرب:٣/٢٤٢
(٧٦)الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي:٤٦-٩/٤٧
(٧٧)روح المعاني:١٢/٣٩٢،وينظر التحرير والتنوير:١٠٢-١٢/١٠٣

(٧٨)روح المعاني:١٢/٣٩٣
(٧٩)ينظر التعبير القرآني:١٧٩-١٨٠
(٨٠)ينظر من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية:٦٩
(٨١)تفسير المنار:١٢/٩٤،وينظر التحرير والتنوير:١٢/١٠٧
(٨٢)ينظر تفسير البيضاوي:١/٤٦١،وينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:١٨٠
(٨٣)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٠
(٨٤)معاني القرآن للفراء:٢/٢٠،وينظر التبيان في إعراب القرآن:٢/٣٥،وينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٤/١١٠
(٨٥)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٠
(٨٦)روح المعاني:١٢/٤٠٠،وينظر التعبير القرآني:٢١٠
(٨٧)ينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:٢٢٨
(٨٨)ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:١٢/٣٠٨
(٨٩)التحرير والتنوير:١٢/١١٥-١١٤
(٩٠)ينظر إرشاد العقل السليم:٣/٣٣١
(٩١)ينظر تفسير البحر المحيط: ٥/٢٤٢ ،وينظر الزمن القرآن الكريم:٣٣٤
(٩٢)ينظر التحرير والتنوير:١٢/١١٧
(٩٣)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:١/٢٩١
(٩٤)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٢
(٩٥)تفسير المنار:١٢/١٠٢،وينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٢
(٩٦)ينظر من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرانية:٤٠٧
(٩٧)ينظر المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم:٣١١-٣١٢
(٩٨)ينظر الجملة الاسمية:١٠٦
(٩٩)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٥
(١٠٠)ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:١٢/٣٢٥
(١٠١)صفوة التفاسير:٢٩-٣٠ /٢
(١٠٢)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١١٧،وينظر تفسير الشعراوي:١١/٦٥٨٢
(١٠٣)معجم المقاييس في اللغة:٥٠٦
(١٠٤)مفردات ألفاظ القرآن:٨١٠
(١٠٥)ينظر التحرير والتنوير:١٢/١٣٥-١٣٤،وينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه:٣/٤٦٧ وينظر إرشاد العقل السليم:٣/٣٣٩
(١٠٦)إرشاد العقل السليم:٣/٣٤٠،وينظر روح المعاني:١٢/٤٣٠
(١٠٧)مفردات ألفاظ القرآن:٥٤٦ ،وينظر معجم المقاييس في اللغة:٧٣٨
(١٠٨)ينظر الإتقان في علوم القرآن:٣/٢٤١،وينظر البرهان في علوم القرآن:١/٨٠،وينظر دراسات فنية في القرآن الكريم:٤٧٩
(١٠٩)ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية:١٦٢
(١١٠)التعبير القرآني:٤٨
(١١١)ينظر إرشاد العقل السليم:٣٤٤وينظرروح المعاني:١٢/٤٣٨
(١١٢)إرشاد العقل السليم:٣/٣٤٥،وينظر التحرير والتنوير:١٢/١٤٧
(١١٣)التعبير القرآني والدلالة النفسية:٣٠٥
(١١٤)ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم:٢/١٢٢
(١١٥)ينظر تفسير الكشاف:٢/٢٩٠-٢٨٩،وينظر المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم:١٠٥-١٠٦،وينظر من أسرار الجمل الاستئنافية:٦٦
(١١٦)ينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:٢٩٥-٢٩٦
(١١٧) ينظر إرشاد العقل السليم:٣/٢٤٤،وينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:٢٧٤
(١١٨)ينظر كتاب نتائج الفكر في النحو:١٧٠
(١١٩)ينظر التحرير والتنوير:١٢/١٥٥
(١٢٠)مفردات ألفاظ القرآن:٣٥٤
(١٢١)معجم المقاييس في اللغة:١٠٩٠
(١٢٢)صفوة التفاسير:٢/٣٠
(١٢٣)إعراب القرآن الكريم وبيانه:٣/٤٨١،وينظر كتاب الزمن في القرآن الكريم:١١٨
(١٢٤)ينظر معجم المقاييس في اللغة:٤١٤
(١٢٥)معاني القرآن وإعرابه:٣/٦٣
(١٢٦)ينظر البحر المحيط: ٥/٢٥٩-٢٥٨
(١٢٧)دراسات فنية في القرآن الكريم:٥٤٥،وينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:٢/٣٥٠
(١٢٨)ينظرتفسير الكشاف:٢/٤١٢
(١٢٩)ينظرالجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:٢/٣٥٨
(١٣٠)ينظر دراسات فنية في القرآن الكريم:٤٨٧
(١٣١)ينظرمعاني الابنية في العربية: ٩
(١٣٢)ينظرالتحرير والتنوير:١٢/١٦٥
(١٣٣)ينظر صفوة التفاسير:٢/٣٥
(١٣٤)ينظرتفسير الشعراوي:١١/٦٦٩١
(١٣٥)ينظر التعبير القرآني:١٨٥
(١٣٦)ينظر التحرير والتنوير:١٢/١٧٥
(١٣٧)ينظر روح المعاني:١٢/٤٧٧
(١٣٨)إعراب القرآن الكريم وبيانه:٤٩٣-٣/٤٩٤،وينظر الزمن في القرآن الكريم:٣٤٨،وينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:٢/٤٤٦
(١٣٩)ينظر روح المعاني:١٢/٤٨٧
(١٤٠)معاني القرآن:٢/٣٠
(١٤١)التعبير القرآني:٢٠٩

(١٤٢)تفسير الكشاف:٢/٢٩٨
(١٤٣)تفسير البحر المحيط:٥/٢٧٢
(١٤٤)ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:١١٥-٢/١١٦
(١٤٥)روح المعاني:١٢/٤٩٦
(١٤٦)المصدر نفسه.

المصادر

١-القرآن الكريم
٢- أبحاث في أصوات العربية،تأليف د.حسام سعيد النعيمي،دارالشؤون الثقافية العامة-بغداد،ط ١ ،١٩٩٨.
٣- الإتقان في علوم القرآن،للعلامة الحافظ جلال الدين السيوطي،حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته طه عبد الرؤوف سعد،المكتبة التوفيقية-القاهرة د ط-ت.
٤- إعجاز القرآن،في دراسة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها(الإعجاز في مفهوم جديد)تأليف عبد الكريم الخطيب،الكتاب الثاني،دار المعرفة- ببيروت،ط٢، ١٩٧٥.
٥- إعراب القرآن الكريم وبيانه،تأليف محي الدين درويش،دار الإرشاد للشؤون الجامعية-دمشق بيروت ودار ابن كثير-دمشق-بيروت،ط٩ ،٢٠٠٣.
٦- أوزان الفعل ومعانيها،تأليف هاشم طه شلاش،مطبعة الآداب-النجف الاشرف-١٩٧١ .
٧- البرهان في علوم القرآن-للأمام بدرالدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث-القاهرة،د ط -ت .
٨-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،تأليف الاستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي،شركة العاتك لصناعة الكتاب-القاهرة-ط٢-٢٠٠٦.
٩- البيان في روائع القرآن،دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني،تأليف.د. تمام حسان،طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة،٢٠٠٢.
١٠- التبيان في إعراب القرآن ،تأليف أبي البقاء العكبري ت ٦١٦،دار الفكر- بيروت٢٠٠١.
١١- أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،للقاضي أبي السعود محمد بن محمد الحنفي ت ٩٨٢،دار الكتب العلمية-بيروت ،ط١، ١٩٩٩.
١٢-التفسير البلاغي للأستفهام في القرآن الحكيم،تأليف د.عبد العظيم إبراهيم المطعني ،مكتبة وهبة- القاهرة،ط٢ ،٢٠٠٧.
١٣- تفسير البحر المحيط ،تأليف أبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥،دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض-شارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد ود.احمد الجمل،دار الكتب العلمية- بيروت،ط١، ٢٠٠١.
١٤- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل،تأليف القاضي ناصر الدين ابي سعيد الشيرازي البيضاوي ت ٧٩١،دار الكتب العلمية-بيروت ،ط١، ٢٠٠٣.
١٥- تفسير التحوير والتنوير ،تأليف الأستاذ الشيخ محمد الظاهر ابن عاشور،دار سحنون-تونس ،١٩٩٧.
١٦- تفسير الشعراوي .
١٧- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف العلامة نظام الدين النيسابوري ت٧٢٨،ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات،دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ ،١٩٩٦.
١٨- تفسير القرآن الحكيم المشور بتفسير المنار،تأليف الإمام محمد رشيد رضا،خرج آياته وشرح غريبة إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١ ،١٩٩٩.
١٩- التفسير القيم ،ابن القيم الجوزية ،جمع وإعداد الشيخ محمد اويس الندوي ،تقديم محمد حامد الفقي،ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان،دار ابن الهيثم-القاهرة،ط١ ،٢٠٠٥.
٢٠- تفسير الكشاف،تأليف الإمام أبي القاسم جارالله محمود الزمخشري،رتبه وضبطه وصححه محمد عبدالسلام شاهين ،دار الكتب العلمية- بيروت،ط٣ ،٢٠٠٣.
٢١-التعبير القرآني ،تأليف د. فاضل صالح السامرائي،ساعدت جامعة بغداد على نشره ،١٩٨٦-١٩٨٧.
٢٢- التعبير القرآني والدلالة النفسية ،تأليف د.عبدالله محمد الجيوسي ،دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق،ط٢، ٢٠٠٧.
٢٣-الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)لأبي عبدالله الأنصاري القرطبي،تحقيق عبدالرزاق المهدي،دار الكتاب العربي-بيروت،٢٠٠٥.
٢٤- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه،مع فوائد نحوية هامة،تصنيف محمود صافي ،دار الرشيد –بيروت،ط٣ -١٩٩٥.
٢٥- الجملة الاسمية ،تأليف علي أبو المكارم،مؤسسة القرآن-القاهرة،ط١، ٢٠٠٧.
٢٦- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،تأليف د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ،مكتبة وهبة – القاهرة،ط١ ،١٩٩٢.
٢٧- دراسات فنية في القرآن الكريم،د.احمد ياسوف ،دار المكتبي –دمشق ،ط١، ٢٠٠٦.
٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،تأليف السمين الحلبي ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد الموجود،ود.جاد مخلوف جاد و د.زكريا عبد المجيد، قدم له وقرظه د. احمد محمد صيرة، دار الكتب العلمية-بيروت-ط١ ،١٩٩٣.
٢٩- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ،تأليف.محمد ياس خضر الدوري ،دار الكتب العلمية- بيروت،ط١ ،٢٠٠٦.
٣٠- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم،دراسة تحليلية،تأليف د. منير محمود المسيري ،تقديم د.عبدالعظيم المطعني و د.علي جمعة،مكتبة وهبة- القاهرة- ط١، ٢٠٠٥.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ،تحقيق محمد احمد الامد وعمر عبدالسلام،دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت،ط١ ،٢٠٠٠.
٣٢- الزمن في القرآن الكريم ،دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ،تأليف د.بكري عبدالكريم،دار الفجر- القاهرة-ط٢ ،١٩٩٩.
٣٣- الصرف الواضح،تأليف د. عبدالجبار علوان النايلة ،دار الكتب- جامعة الموصل،١٩٨٨ .
٣٤- صفوة التفاسير،تأليف العلامة محمد علي الصابوني ،دار إحياء التراث العربي- بيروت،ط١,٢٠٠٤
٣٥- الصورة الفنية في المثل القرآني،تأليف د.محمد حسين علي الصغير،دار الرشيد-بغداد،١٩٨١.
٣٦- الطبيعة في القرآن الكريم،تأليف د.كاصد ياسر الزيدي،دار الرشيد-بغداد،١٩٨٠.
٣٧- الكتاب،لسيبويه،تحقيق عبد السلام محمد هارون،طبعة بولاق مصر ١٣١٦ه،وطبعة الهيئة العامة القاهرة،١٩٦٦-١٩٧١.
٣٨- لسان العرب،لابن منظور،اعتنى بتصحيحها:أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي-بيروت،ط٣،د ت.
٣٩- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم،تأليف د.عبد المجيد ياسين المجيد،دار ابن حزم- بيروت،ط١، ٢٠٠٥.
٤٠- المدح والذم في القرآن الكريم،دراسة موضوعية،تأليف د.معن توفيق الحيالي،دار الكتب العلمية-بيروت،ط١، ٢٠٠٦.
٤١- معاني الأبنية في العربية،د.فاضل صالح السامرائي،جامعة الكويت،ط١، ١٩٨١.
٤٢- معاني القرآن،أبي زكريا الفراءت٢٠٧،تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،دار السرور،١٩٥٥.
٤٣- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس،تحقيق يحئ مراد،دار الحديث-القاهرة،٢٠٠٤.
٤٤-معاني القرآن وإعرابه للزجاج،شرح وتحقيق د.عبد الجليل عبدة شلبي،خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الدين محمد،دار الحديث-القاهرة،٢٠٠٤.
٤٥- معجم المقاييس في اللغة،لابن فارس ت٣٩٥،حققه شهاب الدين أبو عمرو،دار الفكر-بيروت،ط١,١٩٩٤
٤٦- مفردات ألفاظ القرآن،تأليف الراغب الاصفهاني،تحقيق صفوان عدنان داوودي،دار القلم- دمشق،الدار الشامية-بيروت.
٤٧- من أسرار الجمل الاستئنافية دراسة لغوية قرآنية،د.أيمن عبد الرزاق الشوا،دار الغوثاني للدراسات القرآنية،ط١,٢٠٠٦
٤٨-المنهج الصوتي للبنية العربية،د.عبد الصبور شاهين،مؤسسة الرسالة-بيروت،١٩٨٤.
٤٩-نتائج الفكر في النحو،للسهيلي،تحقيق محمد إبراهيم البنا،دار الرياض- الرياض،١٩٨٤.